الجامعة

الجزء الثاني — السنة السابعة

مجلة علمية اجتماعية تاريخية ادبية

القاهرة — يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١٠ — محرم سنة ١٣٢٨

فاتحة احاديث شهرية
في المسائل العثمانية

على ذكر اقامة عزت باشا العابد في مصر ومنع صاحب جريدة سربستي من نشر جريدته فيها

ليست السياسة من مواضيع المجلات كأخبار . ولكن أي كاتب يرى البناء الذي يُبنى الآن في السلطنة العثمانية ويطاوعه فكره وقلمه على الوقوف بازاء ذلك البناء وقفة المشاهد المتفرج لا وقفة المتعقب المشارك . وعدا ذلك فالسياسة ضربان . الضرب الاول أخبار وحوادث . والضرب الثاني تأملات وافكار لاستخراج النتائج . ويدعى الضرب الاول في اصطلاح السياسيين (السياسة البحتة) ويدعى الضرب الثاني شرح السياسة وفلسفتها . وهذا واجب على المجلات لا جائز لها . فلا جناح علينا اذا فتحنا في كل جزء من الجامعة هذا الباب لهذه الاحاديث الشهرية عن السياسة العثمانية ومسائلها الكبرى

ان البرلمان العثماني يبحث منذ نشأته في الاساس الذي تقوم عليه كل أمة ٠ وجميع منافع الامم العثمانية ومصالحها الكبرى تُعرض عليه منفعة منفعة ومصلحة مصلحة ليرى رأيه فيها . فهو يبحث في الحرية ويحددها ويقيدها .والعمل وينظمه ويضع اللوائح له ٠ ومسائل الجنسيات التي اشتبكت في الدولة العثمانيه اشتباك الحابل بالنابل ويسعى لتسكينها وتهدئتها. وتنازع الوزارة والبرلمان السلطة ٠ والامتيازات الاجنبية . واصلاح الوزارات وتطهيرها من ادرانها الاولى .وتوسيع سلطة الولايات او توزيع السلطة عليها. وتتألف فيه الاحزاب وتسقط ثم تنهض الخ الخ — وحول هذه الاعمال اليومية التي هي شغل أهل السياسة الشاغل امم من جنسيات مختلفة تتحرك قياماً وقعودا وتشرئب أعناقها الى زيادة من الحرية والعدل وصلاح الحال .وبعضها يسأم ويتعجل فلا يتمهل٠ وبعضها (يسر حسواً في ارتغاء) والافضل ان لا نفسر هذا المثل٠ وحول ذلك كله٠ اي حول البرلمان والحكومة والامم المشتبكة بهما المنتسبة اليهما امم كبرى أجنبية تنظر من بعيد الى غليان تلك المراجل الشرقية الجديدة التي يراد منها ان تطبخ لابناء الشرق طعاماً مدنياً حديثاً ٠ وهم يراقبون ما عساه ان يخرج منها . والبعض منهم يشارك بشهامة (او لمصلحة) في ايقاد النار تحت تلك المراجل والبعض منهم عمل سرًا او ما لا لاخمادها٠

فكيف يسع الكاتب ان يقف ساكتاً بازاء هذه الحركة الهائلة التي لا مثيل لها في تأريخ الشرق وسيكون لها اعظم تأثير على قارة كبرى بل قارات ويشتغل بعد ذلك عنها بغيرها٠

وقد اجتنبنا في الجزء السابق الخوض في المسائل العثمانية لانه الجزء الاول الذي نفتتح به الجامعة حياتها في الشرق بعد عودتها من الاقطار الاميركية ٠ لا سيما وانها قادمة من واقعة سياسية وقعت بشأن جمعية كانت في باريز٠ والذين كانوا يقرأون جريدة الجامعة وهي في نيويورك ويتذكرون عريضتها الى مجلس المبعوثان التي قدمتها اليه بالنيابة عن نحو ٩٠ مهاجر سوري من أدباء المهاجرين وعليها تواقيعهم بخط ايديهم والجواب الذي ورد عليها بشأن هذه العريضة من جناب العلامة سليمان افندي البستاني الذي كان تقديمها بواسطة حضرته ـ يعلمون المراد بتلك الاشارة ٠

ونريد افتتاح الكلام بجريدة (سربستي) التي أبت الحكومة المصرية الاذن لها بالظهور في مصر وذلك لنقول كلمة نبسط فيها رأينا بسطاً تاماً تظهر فيه الفكرة الاصلية التي يجب علينا ان لا ننساها ولذلك جعلناها محور كلامنا ٠ ان جريدة (سربستي) نشأت

بعد اعلان الدستور وقد اتخذها مقاومو جمعية الاتحاد والترقي والحكومة العثمانية التي كانت يومئذ تحت رقابة هذه الجمعية كلسان حال لهم · وكانوا يشبهونها في الاستانة بجريدة (الانترنسيجان) الفرنسوية التي كانت في ايام روشفور تحمل على كل وزارة فرنسوية تقوم حملات بعضها عن صدقٍ وحسن نية و بعضها عن اختلاق وحب نكاية · ولكن الشعب العثماني الحديث العهد في الحرية هو غير الشعب الفرنسوي الاصيل فيها. فبينما كان الشعب الفرنسوي يقرأ في جريدة الانترنسيجان ما كان يكتبه روشفور من ان المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية ماعفا عن بريو الذي قتل زوجته وأولاده الخمسة واستبدل حكم الاعدام بالسجن والاشغال الشاقة الا لانه اي المسيو لوبه يبغي هدم العيلة في الهيئة الاجتماعية مجاملة للاشتراكيين والفوضويين · وان المسيو فاليير (رئيس الجمهورية الفرنسوية بعده) ما طلب رئاسة الجمهورية الا ليتمكن من ترويج (ماركة) محله الذي يصنع الخمر في مزارعه في لو يبليون و يتجر بها وانه اصبح في كل زيارة رسمية يقول لكل من يحدثه من سفراء ووزراء وموظفين (هل تريد ان ارسل اليك من خمر لويبليون ماركة فاليير) — بينما كان الشعب الفرنسوي يقرأ هذا الكلام المختلق دعابةً ومطايبةً ويضحك كان السذج من الشعب والجند في الاستانة يقرأون ما نشرته جريدة سربستي من ان جمعية الاتحاد والترقي جمعية كفرة فران ماسون وانهم يبغون هدم الشرع الاسلامي باللوائح التي يسنونها في مجلس المبعوثان وانهم يمنعون الجند من اداء فريضة الصلاة وانهم ينهبون اموال الحكومة و ينفقونها في ملاذهم ومآدبهم ويتركون الجند بملابس قذرة رثة حفاة جائعين الخ — كان السذج من الشعب والجند في الاستانة يقرأون هذا الكلام واكثرهم يصدقونه ولذلك قاموا تلك القومة على مجلس المبعوثان في فتنة ١٣ ابريل التي انتهت من حسن الحظ بالطريقة التي عرفها القراء

اننا لا نجهل ان المعارضة شرط من شروط جودة السياسة في كل امة . ووجود الاحزاب امر ضروري لانتظام اعمال المجالس النيابية وتمحيصها · ولكننا نعلم ايضاً انه اذا كانت اعصاب شعب كالشعب الفرنسوي تحتمل المعارضة (في الحق وفي الباطل والصدق والكذب) لانه شعب الف الحرية وحكومته قوية والاحزاب التي تستند اليها الحكومة وتعتمد عليها شديدة السواعد نافذة الكلمة لدى جمهور الامة فالشعب العثماني لم يألف الحرية بعد ولم يدرك اسرارها الظاهرة والخفية وحكومته ما زالت ضعيفة لا قوة لها على حفظ ذاتها بذاتها و باحزابها اذا انفصل عنها جمهور عظيم من الشعب واساء الظن بها. وامام هذه الحكومة الطفلة الجديدة قوات قديمة عظيمة قد يكون من مصلحتها الاتحاد عليها · فهناك قدماء كبار

الموظفين الذين حلَّ محلهم في الاحكام بعد الدستور الموظفون الحاليون ٠ وصغار الموظفين والمستخدمين الذين فُصلوا عن وظائفهم وهم أُلوف وعشرات الوف . والذين كانوا يطمعون في ان يشاركوا الغانمين في الغنائم اي وظائف الحكومة لهم او لذوي قرباهم ثم لم يبلغوا مآربهم فكانوا راغبين حين كانوا يرجون في الدستور منفعة ثم اصبحوا مستائين ٠ وهناك ايضاً جمهور من الكهول والشيوخ من ساسة الدولة وموظفيها ورجالها ملكيين وعسكريين الذين الفوا الطرق القديمة في الاحكام فيعز عليهم الآن ان يتقمصوا روحاً جديدة ويرون انه قد تقدم عليهم في الدولة شبان هم يعتقدون فيهم العجز عنهم في تدبير الامور فيضاف الى النزاع في شأن طرق الحكم القديمة والحديثة نزاع جديد وهو النزاع الابدي بين الشيوخ والشبان أُولئك يعتمدون على حنكتهم وخبرتهم وهؤلاء على قوتهم الذاتية ونشاطهم ومعرفتهم حقائق المبادىء الحديثة التي تُنشأُ بها الامم الحديثة ومقتضياتها٠ وهناك ايضاً كل من كان له جاه ونفوذ في الدولة البائدة وكان يبلغ بجاهه ونفوذه بواسطة (المحسوبية والالتماس) ما شاء البلوغ اليه واصبح الآن لدى القانون هو والصعلوك سواء٠ وهناك ايضاً جمهور من رجال الدين — ولا نقول كلهم فقد رأينا في المسلمين والمسيحيين رجال دين مخلصين قلباً وقالباً للانقلاب الجديد وهم في الغالب اخلص اهل الدين لرعيتهم والتابعين لهم — هناك جمهور من رجال الدين يضعون العصي بين دواليب مركبة هذا الانقلاب لعرقلتها لاغراض شتى ليس هذا موضع تفصيلها لان تفصيلها يقتضي الاسهاب فضلاً عن كونه مؤلماً اشد ايلام . وهناك ايضاً بعض من رصفائنا الكتاب يرون ان الشعب في كل امة ميال الى الانتقاد والمعارضة محب بغريزته لسياسة الاستئثار والاستفراد فيجارونه ترويجاً للمصلحة وليس اروج للجريدة التركية ان تدافع عن الاتراك واليونانية عن اليونان والبلغارية عن البلغار والسورية عن السوريين والمصرية عن المصريين٠ ولما كان هذا الاستفراد الجزئي مخالفاً لمصلحة المجموع العمومية فالحكومة المركزية لقيت منه وستلقى ما (يصمّ الصماخ ويُطير الفراخ)٠ وهناك ايضاً جمهور المعارضين المخلصين الذين يعارضون بعقل وعدل اما لانخداعهم بروايات مشوَّهة تتصل بهم واشاعات كاذبة يشيعها من له مصلحة في اشاعتها فيبنون عليها معارضتهم . او لرغبتهم في ان لا يرقد الظافرون على اكاليل ظفرهم كما يقول الافرنج في امثالهم فيخزونهم بابر المعارضة ليستمروا متيقظين منتبهين فلا يعطوا خصومهم حجة عليهم . اضف الى ذلك ما ينفقه المستاؤون من الاموال استكثاراً لحزبهم واستمالة لمن يبغون استمالته ٠ واحتكاك المبادىء والاشخاص حتى في الطبقات العليا من الذين يديرون ازمة السياسة

كل ما ذكرناه من هذه القوات وما لم نذكره اما طلباً للاختصار او اجتناباً لتوسيع الخرق بين ابناء وطن واحد ـ قد يمكن في يوم او ساعة او حادثة من الحوادث كفتنة ١٣ ابريل ان يتفق و يتحد و يتماسك كما جرى في تلك الفتنة ويخرج منه وحش التقهقر الهائل يبغي قلب الحالة الحاضرة واعادة القديم الى قدمه

كلنا ابناء وطن واحد ارتقاؤنا في ارتقائه وسعادتنا في سعادته ٠ ونحن في اختلاف مصالح وآراء كما نحن في اختلاف وجوه وهذه سنة طبيعية لا بدّ منها ٠ ونحن ممن يقولون ان (الحرية للجميع) حتى لاعدائها والذين لا يريدونها . بل نكره ان تُلفظ كلمة (اعداء) بين ابناء وطن هم في الحقيقة اخوان وان اختلفوا رأياً ومذهباً ٠ اننا نترك هذه الكلمة للاعداء الحقيقيين بل اذا جاز لنا التوسع فيها وجدنا انه من الواجب حذفها من القاموس البشري ما دام بعضهم يعدّ المجرمين حتى قطاع الطرق واللصوص مرضى تجب مداواتهم لا اعداء للانسانية يجب استئصال شافتهم . وكلنا يعلم ان لكل عنصر من العناصر العثمانية حقوقاً كما عليه واجبات ٠ ولا نكتم ان العدل لم يستقرَّ في نصابه بعد . والحقوق لم تبلغ اصحابها ٠ والاصلاح ما زال طفلاً ٠ والنعيم وصلاح الحال وارتقاء البلاد التي كان العثمانيون يحلمون بها ما زالت بعيدة ٠ ولكن كلنا يعلم ايضاً شيئاً آخر ولم ننسه بعد لانه حديث العهد . وهو نقطة الدائرة في هذا البحث كما اشرنا آنفاً

اننا لا ننسى ما كان فيه العثمانيون مسيحيين ومسلمين من الشقاء والضغط والظلم قبل اعلان الدستور ٠ فتلك حال يذكرها ابناؤنا لابنائهم واحفادهم و يضربون بها الامثال ٠ ومهما اصابنا بعد الدستور فهو هين علينا بالقياس على تلك الحالة . ولذلك علينا قبل كل شيء (حتى قبل المطالبة بالحقوق) ان نضع نصب عيوننا امر بقاء الحالة التي صرنا اليها واجتناب كل ما من شأنه اضعاف الحاضر وارجاعنا القهقرى ٠ فلدينا الآن قبل كل امر وكل حق وكل مطلب مهمة وهي حفظ الدستور وتأييد الرجال الذين اقاموه و برهنوا تحت ظلال السيوف و بين دوي المدافع وتقويض العروش انهم مخلصون له ٠ انهم قد يخطئون في هذا الامر و يجورون في ذاك ولا يحسنون استعمال ذلك و يقعون ثم ينهضون كفتى يتدرب على ارتقاء الجبال وهبوط الاودية ـ ولا جبال اصعب مرتقى من جبال الحكم ولا اودية اشد خطراً من اودية السياسة ـ ولكن كل معارضاتنا لهم الآن في اثناء اعمالهم السياسية يجب ان لا تجاوز حدّ التنبيه والتحذير بلهجة الصداقة والوداد وان يُنبذ منها كل اثر لسوء الظن في صدق نيتهم ٠ فانهم قد يخطئون وما من احد معصوم في الدنيا ولكننا لو كنا مكانهم

لما كنا نفعل احسن مما يفعلون بل ما كنا نقدر على ان نفعل فعلهم . وعلينا ان نجعل هذه الفكرة نصب اعيننا على الدوام وفقاً لما ذكرناه آنفاً وهي : ما دام في الدولة العثمانية خوف من حزب التقهقر — وهذا الخوف موجود حتى الآن بدليل بقاء الديوان الحربي العرفي — فمن واجباتنا جميعاً ان لا نسمع ملاماً في الدستور بين وان لا نعبأ بالذين يقولون لنا انهضوا وطالبوا بحقوقكم ولا تتركوهم يستأثرون ويستبدون بكم . وهبهم يستأثرون ويستبدون كما يقولون وافرض استبداداً هذا التماسك والاتحاد فيما بينهم على سياسة معلومة يريدون صيانة الدولة بها اذ لا تصان بغيرها في هذه الامة التي هي بابل الامم في هذا الطور الاول من اطوار الدستور فهذا الذي يدعونه استبداداً احب الينا الف مرة من ذاك — وانت تعلم مرادنا بقولنا « ذاك » — ان العثمانيين قضوا مئات من السنين وهم يعاملون كما تعامل الانعام السائمة وكانوا ساكتين فلا يليق باحد ممن يريدون الاصلاح باخلاص وصدق ان ينهض حينما يعطى الحرية ويقول « اعطوني كل شيء او أهدم كل شيء لاعود الى القديم » وهذا يقتضي ان يتسامح كل فريق في شيء من حقوقه بضع سنوات لكي ترسخ قدم الدستور وييأس انصار حزب التقهقر من الردة يأساً حقيقياً لرؤيتهم رضى جميع الامة عن الحالة الحاضرة وحينئذ يبقى المجال متسعاً لكل فريق من العناصر العثمانية ان ينهض باسم الدستور وتحت حمايته الى منازعة الحزب الحاكم السيادة والمنافع في الامة . والا فتكون منازعتهم ذلك منذ الآن منازعة تضعفهم وتلقي الشقاق بينهم وتشغلهم عن تأسيس الاصلاح وتطهير الدوائر في العاصمة والولايات مؤدية حتماً الى نصرة حزب التقهقر . ولذلك نرى اعوان هذا الحزب لا يفتأون عن حث العناصر المختلفة على النهوض للمطالبة بحقوقها وامتيازاتها . حتى الاتراك منهم (كصاحب سربستي) اصبحوا اشد غيرة على العرب من العرب انفسهم كما يؤخذ من كلام مولان زاده رفعت صاحب سربستي مع احدى الجرائد الفرنسوية في الاسكندرية . واليوناني تذكر انه صديق قديم للعربي فزحف يجامله ويذكره اختلاط دمها قديماً في سوريا وما بين النهرين في عهد بزنطيه . والعربي الذي كان موظفاً في الاستانة قبل الدستور ويكره ان ينتسب للعرب ويعاقب بالسجن من يقول انه عربي او سوري اكتشف بغتة في احدى زوايا نفسه عاطفة جديدة وهي التفاني في حب العرب والسوريين . (سلاطة روسية) كما يقول الافرنج في امثالهم

منذ بضع سنوات قوي ساعد الملكيين في فرنسا يساعدهم الاكليروس والجيش وذلك في حادثة دريفوس المشهورة . فاجترأ احد الملكيين على ضرب رئيس الجمهورية المسيو لوبه

فاصاب قبعته وحنق بعض رؤساء الجيش على الجمهورية فاصبحوا يتآمرون عليها . فلما رأى الجمهوريون الخطر علي الجمهورية تركوا منازعاتهم ومخاصماتهم واتحدوا يداً واحدة لنصرة الجمهورية . واستوى في هذا الاتحاد الجمهوريون والراديكاليون والراديكاليون الاشتراكيون والاشتراكيون الموحدون والاشتراكيون المستقلون حتي الفوضويين انفسهم وبعد ان كانوا جميعاً يتنازعون في مبادئهم ومشاريعهم تنازع الخصوم والاعداء سكتوا بعضهم عن بعض وعقدوا هدنة ووحدوا احزابهم توحيداً وقتياً في حزب دعوه العصابة الجمهورية Bloc. واستمر هذا (البلوك) يعمل باتحاد واتفاق في وزارة والدك روسو ثم اميل كومب بضع سنوات حتى أعادت الحكومة النظام الى الجيش والبلاد وسنت قانون الجمعيات الدينية وزال الخطر عن الجمهورية . فعادت الاحزاب الى منازعاتها

فبازاء حزب التقهقر العثماني يجب ان يكون للدستور بين العثمانيين (بلوك) ايضاً الى ان يزول الخطر عن الدستور العثماني والحرية العثمانية . وهذا (البلوك) هو المهادنة التي اشرنا اليها بين العناصر بضع سنوات

فماذا يريد الآن صاحب جريدة سر بستي ان يبلغنا اياه في جريدته التي رام نشرها بيننا؟ . ايريد ان يقول لنا انه غيور على العناصر العثمانية وانه لم ينصفها حزب الاتحاد والترقي ؟ شكراً لغيرته وهذا لا يقتضي اكثر من سطرين وقد نشرهما في جريدة النوفل فكفى . ام يريد ان يثبت (ان حزب الاتحاد والترقي مستبد ظالم وقد جعل الدولة العوبة بين الدول الاجنبية) فهذا قد قاله فيما مضى في الاستانة وما في الاعادة افادة . وليس الوقت الآن وقت هذه الاقوال كلها بل الوقت وقت الافعال اي تنظيم الوزارات والاستغناء عمن يمكن الاستغناء عنهم من الموظفين في العاصمة والولايات اقتصاداً في النفقات وتطهير المحاكم وتنظيم البوليس لتقوية سلطة الحكومة واقرار الامن وانشاء موارد للرزق زراعية وصناعية وتجارية وتسهيل سبل المواصلات وتقوية مالية الدولة وجيشها وبحريتها . واما الجدل فسيجيء وقته بعد زمن . بعد خمس او ست سنوات عدا ايها الفاضل واطلب المناظرة والمجادلة . ولكننا مع ذلك نقول له . ان الامة العثمانية لا تهمها صبغة الحزب الحاكم الآن باكثريته في مجلس المبعوثان ولا تنظر الى اسمه ولقبه . ولكنها قبل كل امر تريد حزباً منظما قادرا اثبت اخلاصه للدستور وقدرته بافعال لا باقوال ويكون صاحب الاكثرية في البرلمان ولرجاله خطة مخطوطة يجرون عليها . وينتصرون فلا ينشقون ولا يتخاذلون . ويسقطون فيستمرون متماسكين كالبنيان المرصوص . والامة ونعني المتأدبين والمتنبهين في الامة يحبونهم

ويؤيدونهم . جيئونا بحزب كهذا الحزب وسموه بالاسم الذي تريدونه واجعلوه يحكم الامة . واذا لم يكن في الامة حزب كهذا الحزب غير حزب الاتحاد والترقي اتحسبون الامة العثمانية ومتأدبيها ومتنبهيها انعاماً لا عقل لها لتلقي زمام الحكومة الى احزاب صغيرة ذات اغراض متضاربة تتنازع بقوىً متكافئة فتشل سياسة الدولة وتحل فيها الفوضى وتمس الحاجة حينئذ الى الاستبداد لاعادة النظام كما وقع في البرلمان الاول

ويظهر ان الحكومة المصرية قد رأت ان ما قاله صاحب سربستي في جريدته في الاستانة قبل فتنة ١٣ ابريل التي برح الاستانة بعدها قد كان كافياً فلم تأذن له بنشر جريدته هنا . ومن حقه ان يشكو من تعرضها لحريته الشخصية وضغطها على حرية المطبوعات الى هذا الحد . ونحن وان كنا على خلاف معه في مبادئه لا نستحسن (منع حرية النشر) اياً كان سببه لان الحرية كما يقولون (واحدة لا تتجزأ ولا تنقسم) ولكن لعل الحكومة منعته من نشر جريدته لا رغبة فقط في سدّ باب الشقاق والنزاع في مصر بشأن المسائل العثمانية ولا مجاملة فقط للحكومة العثمانية صاحبة السيادة في مصر بل ايضاً — وربما كان هذا السبب هو الاهم — لان حضرته متهم وفار من المحكمة العرفية العسكرية في الاستانة التي استدعته لمحاكمته ولم يحضر . ولو حضر وحوكم وبرأ ساحته الديوان الحربي لما كنا نظن ان حكومة مصر تمنعه من نشر جريدته في بلادها ما دام بلا (سوابق)

وهل في الامكان ان نتكلم في هذا الفصل عن صاحب جريدة سربستي ولا نشير بكلمة الى ضيف مصر الجديد عزت (باشا) العابد

ان الامر الذي يسر ذكرهُ كل منصف يراقب الحوادث عن بعد ان عزت باشا لم يفعل فعل صاحب سربستي واجتنب محادثة مراسلي الصحف اجتناباً مطلقاً . واذا صحت الاخبار التي نُشرت عنه كان عمله دليلاً جديداً على ما هو مشهور عنه من الدهاء وحسن السياسة . فقد قيل انه حين وصوله الى مصر زار دولة القومسير العثماني وابلغه رغبته في الاقامة في مصر وانه يود (زيارة) الاستانة اذا اذن له بذلك أولياء الامر وانه في مقدمة محترمي الدستور والمعترفين بالحالة الحاضرة . وبعد ان حضر المأدبة التي حضرها ايضاً بضعة من نظار مصر وحصلت بسببها تلك الضجة في مصر والاستانة ذهب ايضاً الى القومسير العثماني وابلغه انه لم يكن عالماً بوجود حضرات النظار فيها ولولا ذلك لما حضرها . فاذا صحت هذه الاخبار فانها تثبت مسالمته لاولياء الامر في الاستانة . وليس لنا ان نقول انه يُظهر امراً ويُبطن امراً فلنا الظواهر والبواطن لله . ولكن الذي لنا ان نقوله هو استغرابنا

ان رجلاً مثله بلغ فيما سبق في الدولة مابلغ واصبح يوماً ما واسطة عقدها حتى ان مراسل جريدة الماتن في الاستانة قال قبل اعلان الدستور بشهر واحد ان الذي يدير ازمة الدولة هو عزت باشا لا السلطان عبد الحميد — كيف يرضى لنفسه مع عزة نفسه ان يقال عنه انه فار من حكومة بلاده وقانون بلاده و يعيش وهذه التهمة لاصقة به . وكيف يلام الديوان الحربي في الاستانة لحجزه املاكه ومحاكمته والحكم عليه ما دام عزت باشا لم يحضر في الاجل الذي ضربه له الديوان . ان القانون في كل امة متمدنة جامد قاس لا يعرف صغيراً او كبيراً ولا بدَّ من انفاذه . وقد قيل في الجنرال بولانجه بعد فراره من فرنسا انه لو بقي فيها ولم يفر وحوكم وحكم عليه لكان اعظم قدراً في التأريخ وأجلَّ في نظر ابناء وطنه منه وهو في المنفى . وقد مات منفياً مهملاً صغير القدر ولو مات محكوماً عليه في وطنه لاقامت له رجوليته هذه من ابناء وطنه حتى من قضاته انفسهم الذين حكموا عليه رجالاً يرجعون في كثير من آرائهم فيه ويحصل حينئذٍ في الافكار رد فعل بشأنه . ما الحيلة في هذه الحياة المملوءة بالمصالح المتناقضة والآراء المتعارضة وكيف يمكن للبشر ان يعيشوا فيها مطمئنين اذا لم يوجدوا حكماً بينهم يفصل في قضاياهم ويُلزم كل امرئ حده ويعطي كل ذي حق حقه — ونعني بهذا الحكم القضاء والقانون . فما دام عزت باشا لا يذهب الى الاستانة ليلقي قضيته بين ايدي هذا الحكم كما كان غيرهُ فيما سبق يلقي قضاياه بين يديه فان الظنون تبقى حائمة حوله وحزب التقهقر يستمرُّ على اعتباره بحق او بغير حق رئيساً لهُ . ولا ننسى ما نشره قبل فتنة ١٣ نيسان باسبوعين مراسل الديلي تلغراف من الاستانة عن وجود حركة في بلاد العرب وسوريا يُقصد بها استقلالها والمناداة (برجل عربي كبير) اميراً لسوريا في دمشق الشام . فتهم كهذه التهمة تستمر مترددة في الجو تروح وتجيء ما دام عزت باشا متوارياً عن قانون بلاده . وكيف يمكن ان يلام الذين يقومون و يقعدون عند كل حركة من حركاته وكل سكنة من سكناته وينشرون عنه ما يسوءه وبعضهم في مصر يهدده (بنزول الصاعقة) اذا حرك ساكناً ضد الدستور — كيف يلامون مع معرفتهم ان اوربا والشرق والعالم اجمع يعتقدون بحق او بغير حق ان عزت باشا هو الآن نقطة الدائرة في معارضة الحكومة الدستورية العثمانية ما دام متوارياً عن قانونها . ان جمهور الادباء المتحمس ذلك التحمس هو طليعة جيش الحرية المتطرف وفي زمن الشدة والنكبة انما تكون هذه الطليعة في مقدمة القائمين للدفاع عن حريتهم . والحق يقال ان العثمانيين الذين اكل عليهم الدهر وشرب فيما مضى وذاقوا من طعم الاستبداد ما لم تذقه امة غيرهم قد يتسامحون

ويتساهلون مع ابناء وطنهم في كل امر الا امر حفظ الدستور واضعاف مبادىء التقهقر · وان الحملان منهم ليصبحون ذئاباً في سبيل هذا الدفاع · فلا صلة الجنس ولا اللغة ولا النسب ولا الدين تشفع بوجه من الوجوه في امر كهذا الامر · واذا كان عزت باشا سيستمر مغاضباً لاهل الاستانة متوارياً عن قانونها ومقيماً بين ابناء جنسه ولغته فاننا باسف وحسرة نعدّ هذا الامر من سوء حظ ابناء العرب . ذلك لانه يلقي على كثيرين منا الشبهات ; وما اجدرنا باجتناب الشبهات في ابتداء تأسيس الحرية والدستور في بلادنا

ان ذهاب عزت باشا الى الاستانة للفصل في قضيته هناك يؤدي اما الى البراءة استناداً الى ان كل مافعله انما فعله بأمر سلطانه السابق كما قال في رسالته من لندن الى مجلس المبعوثان فضلاً عن انه ليس في القوانين العثمانية قانون يثبت مسئولية الموظفين الشخصية اذا كانوا مأمورين من رؤسائهم . واما الى الادانة ويجري العدل في مجراه · ولكن هذا الذهاب يؤدي بالاخص الى ثلاث منافع كبرى عمومية ليست مما يستهان به. الاولى رفع تلك الشبهة عن اصدقائه ومعارفه من بني جنسه الذين يعاشرهم و يعاشرونه · وهذه خدمة كبرى يخدم بها اصدقاءه واتباعه في مصر وسوريا الذين أوذي بعضهم لانتمائهم اليه وخصوصاً في دمشق حيث جاوز بعضهم الحد في الغيرة عليه فقالوا اقوالاً وفعلوا أفعالاً يعاقب عليها القانون · والثانية الفتّ في عضد التقهقر واضعاف مبادئه . لان كثيرين من حزب التقهقر حينما يرون ان عزت باشا نفسه الذي كانوا يعلقون عليه وعلى امواله الآمال في خدمة الاغراض الرجعية قد وضع يده في ايدي الدستوريين وازال عنه تهمة مقاومتهم واعترف بفضلهم قولاً وفعلاً (لا قولا فقط كما فعل في كتابه الى جريدة التيمس) فان عزائمهم تضعف ويكون ذلك بدء انحلال عصبيتهم .ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة العمومية للجميع وخصوصاً لهذا الوطن التعيس الذي هو في اشد حاجة الى اتحاد جميع ابنائه لضمد جروحه السابقة ورفع شأنه · والثالثة القاء درس على الناس كباراً وصغاراً في وجوب احترام الوطنيين قوانين بلادهم ومحاكمها ووضعها فوق كل شيء حتى فوق ذاتية الانسان نفسه · وهذا يُنتظر من رجل كان اكبر موظفي الدولة الماضية · واذا لم يرد هذا الدرس من مثله فممن يرد . لقد كان فيما مضى قابضاً على سياسة السلطنة كسلطان ثان لها ولا يليق بالسلاطين ان يفروا من المحاكم · قد يكون من قدر صاحب جريدة مربستي ان يفعل ذلك ويستمرّ فيه ولكنه ليس من قدر عزت باشا العابد

لقد بلغنا ان عزت باشا قال لبعض الافاضل الذين تقربوا منه اقوالاً تدور على هذا

المحور وهو انه كثيرًا مارام مبارحة الاستانة في زمن المظالم السابقة فرارًا منها لانه كان في خطر فيها فلم يقدر على الفرار . واستشهد بعض الافاضل على ذلك بعبارة وردت في كتاب كتبه احد الكتاب الافاضل في الشهر الماضي وهي ان عزت باشا قال له في الاستانة منذ بضع سنوات. انه لو يستطيع الفرار من الاستانة لفر . والمراد بذلك اثبات ان كل ما كان يجري انما كان جاريًا رغم ارادته . ولكن موضع البحث في هذه الاقوال هو في الاستانة نفسها امام اولي الامر لافي مصر ولا في سوريا

لقد كنا غرباء في البلاد الاوربية والاميركية وذقنا مرارة طعم الغربة دون نفي ولا تهمة فكيف بها اذا كانت مقرونة بنفي وتهمة وخاصة اذا كانت التهمة (ضد مصلحة البلاد ودستورها وقانونها) ولذلك نشعر كابناء وطن واحد بآلام العثمانيين المنفيين في غربتهم . ولفيكتور هيغو عبارة مشهورة باللغة الفرنسوية يخاطب بها حكومته ومحى هذه (آه من المنفى . افعلوا كل شيء ولكن لاتنفوا) ولكننا نجهر بحرية (وان كان في كلامنا مايسوء) اننا لا نعلم لماذا يجد الآن كثيرون في نفوسهم من الانعطاف على العثمانيين الذين حوكموا بعد الدستور وسجنوا او نفوا مع ثبوت ادانتهم فوق مايجدونه من الانعطاف على الاخوان الآخرين الذين لم تثبت ادانتهم الا غيابيًا لانهم تواروا عن المحاكم وهم يمرحون الآن في اوربا ومصر ويجرون ذيولهم فخرًا بانهم افلتوا من شباك الحكومة الدستورية . قلنا اننا لانعلم السبب في ذلك ولكنه معلوم

بينما نحن نتنازع ونتخاصم في شؤوننا الداخلية ونُعمل فكرتنا في ان يقهر بعضنا بعضًا شفاء لحزازات في الصدور نرى سائر الامم يجمعون قواهم ويوجهون نشاط احزابهم ومعارضاتها الى العمل في سبيل رفعة الوطن . فلنرحم ابناءنا ومستقبل بلادنا اذا كنا لا نرحم انفسنا وحاضر وطننا . ولا ننفقنّ قوانا ونشاطنا في مقاومة بعضنا بعضًا رغبة في المعاندة والانتقام فان الحياة قصيرة ومنازعونا البقاء كثيرون قادرون وليس لدينا فرصة غير هذه الفرصة لننهض ونقوى ونصبح امة متمدنة . فليستصرخ ادباء الامة العثمانية في كل مكان ومتنبهوها واذكياؤها من حولهم ممن تحدثهم نفوسهم بالخروج من الصفوف لمقاومة الحكومة الحاضرة سرًا او جهرًا وعلانية او ضمنًا وليقولوا لهم : دعونا من الجدل . ولننصرف الى العمل : ان هذا وقت له ما بعده . والا اصبحنا بين الناس مضربًا للمثل . وضاعت في اصلاح وطننا الحيل

هذا ونسأل الله ان يسدد خطى القابضين على ازمة السياسة في الاستانة الى الخير

ورضى جميع العناصر وانصافها وتنفيذ الدستور تنفيذاً عادلاً لكي لا يبقى مستاء الا كل من لا يرضيه شيء فتضعف شوكة مبادىء التقهقر عاماً فعاماً

وقد نشرنا في صدر المجلة صورة جمعت ١٢ رسماً تمثل حماسة الشعب في الاستانة في بدء الدستور . وهي بطاقات (كارت) رسمت وكانت تباع في الشوارع . وفي بعضها من الغلو والتطرف ما يرافق عادة كل ثورة وحماسة . وصورة عزت باشا في وسطها . وهذا مرموزها (راجع الرسم في صدر الجامعة)

(العدد ١) البطاقة التي عليها عدد ١ فيها رسم الشعب يطارد احد حكامه الفارين من الاستانة بعد الدستور والشعب يصيح وراءه (امسكوا الهارب امسكوا الهارب)

(والعدد ٢) بطاقة عليها رسم الشعب يحاكم احد اولئك الحكام و يقول له (يجب ان تبدأ قبل كل شيء برد ما سلبته)

(والعدد ٣) بطاقة عليها رسم الذين قبض عليهم قبل ان يفرّوا من الاستانة . . .

(والعدد ٤) بطاقة عليها مناظر يلدز وفوقها هذه الكلمات (حرية — نظام — عدالة قانون اساسي)

(والعدد ٥) بطاقة عليها صورة فريق من الشعب والجند في الاستانة سائرون بمظاهرة ومعهم الاعلام

(والعدد ٦) بطاقة عليها رسم اورطة من الجيش العثماني تقوم بمظاهرة في شوارع الاستانة وامامها علم كبير عليه هذه الكلمات (النظام . الطاعة (الاصول) Discipline العدالة — القانون الاساسي)

(والعدد ٧) رسم عزت باشا العابد

(والعدد ٨) بطاقة فيها رسم خريطة الدولة العثمانية وعليها الدستور منتشر على ارجائها

(والعدد ٩) بطاقة عليها رسم احد الموظفين السابقين وقد اراد الفرار من الاستانة فلم يستطع حرصاً على ثروته التي تثقله وكانت سبباً في غرقه — اي القبض عليه

(والعدد ١٠) بطاقة عليها رسم الشعب يأتي الى ماسح الاحذية باحد الحكام السابقين ويقول له (نظف هذا الافندي جيداً فانه كله يحتاج الى تنظيف)

(والعدد ١١) بطاقة عليها صورة جاوز واضعها حدّ اللياقة والادب ولولا انها متصلة بمجموع الرسم لحذفناها

(والعدد ١٢) بطاقة عليها رسم السلطان السابق وتحتها هذه الكلمات (فليحي عبد الحميد خان الثاني) —

مثال المرأة الفاضلة

يوم وليلتان في ضيافة مس كولد

احدى السيدات الفاضلات وصاحبات الملايين المشهورة باعمالها الخيرية وطهارة حياتها في نيو يورك

بقلم مدام روزا حداد (المدموازل روزا انطون قبلاً) صاحبة مجلة السيدات (١)

﴿ سيدات اميركا ﴾ وما ادراك من سيدات اميركا . فان كان هنالك معنى حرفي لكلمة ينطبق معناها كل الانطباق على لفظها فهي هذه الكلمة (سيدات اميركا) واعني باميركا هنا الولايات المتحدة حيث السيدات فيها سيدات البلاد اسماً وفعلاً . وهنَّ حاكماتها ادبياً ومادياً وسياسياً . يقولون ان اميركا بلاد الغرائب والعجائب وانا اقول ان سيدات اميركا من امهات تلك الغرائب والعجائب وليس ذلك بشكلهنَّ لانهنَّ وان اختلفن لوناً فان شكلهنَّ مألوف ولكن من يدرس اخلاق السيدة الاميركية ويختبر مقدرتها على الادارة والعمل وثبات الجأش ويرى ما لها من النفوذ والسلطة والامر والنهي والحل والعقد يدرك جيداً غرابة المرأة الاميركية وتفردها بمقدرتها وعقلها . وهنَّ شاعرات بتلك السلطة التي بايديهنَّ ويجتهدنَ بصرف تلك القوى الى خير البلاد

---

(١) ﴿ الجامعة ﴾ ان قراء الجامعة. وقارئاتها وقارئات (مجلة السيدات) التي كانت تصدرها في الاسكندرية شقيقة صاحب الجامعة مدام روزا حداد (المدامواذل روزا انطون قبلاً) يسرهم ان يقرأوا شيئاً في الجامعة من قلمها بعد عودتها من نيو يورك وقد سألتها الجامعة ان تكتب لها شيئاً فكتبت هذا الفصل رغم المرض الذي طرأ عليها ولم يفارقها بعد وشغلها عن اصدار مجلتها .

شاهدت مرة في نيويورك احدى محررات الجرائد الاميركية تحادث رئيسة احدى الجمعيات الخيرية الاميركية فسألتها رأيها في مسألة كانت تحت البحث وهي ادخال الكتاب المقدس الى مدارس اميركا الامر الممنوع من قبل الحكومة فقالت المحررة للرئيسة هل تظنين انكن تستطعن يوماً ما ادخال هـذا الكتاب الى المدارس فاجابت الرئيسة بقوة ورزانة المرأة الاميركية • ارجوان تتأكدي انه لايوجد في قاموس نساء اميركا كلمة (مستحيل) فاننا حتى الآن لم نقصد امرًا الا توصلنا اليه فبدون شك سندخل مبادىء هذا الكتاب الى كل مدارس اميركا فاجابت المحررة ولكن الامر بيد الحكومة فاجابت وهي تضحك ان حكومتنا حاربت كثيرًاوانتصرت ولكنها لاتحارب نساءها الا نها تفتكر كثيرًا قبل ان تحاربهن • فنحن سنجمع تعاليم الكتاب العمومية المتفق عليها عند جميع الطوائف كالمزامير وحكم سليمان وغيرذلك ونسمي هذه المجموعة باسم ادبي آخر وندخله الى كل مدارس اميركا بدون معارضة ويقرأ منه كل صباح فصل ويسمعهُ الجميع بارتياح وها نحن شارعون بالعمل

سيدات اميركا متسلطات وحاكات ومقدرتهن الشخصية لابزينتهن وجواهرهن مع انها وفيرة لديهن ولكن لاقيمة لها ولا ثمن بل قيمة المرأة عندهن عملها • وقد اشتهرت سيدات اميركا بولعهن بالاعمال الخيرية والمشاريع العمومية النافعة فلا ترى سيدة الا وتنتمي الى جمعية اما خيرية او علمية او لغوية الخ وكم سيدة من صاحبات الملايين من الجنيهات قد اوقفت حياتها للاعمال الخيرية ولمساعدة المشاريع العمومية ولنفع الجنس البشري • ومن اهم هؤلاء الفاضلة الطائرة الصيت المشهورة بغناها وباعمالها الخيرية مس هلن كولد التي اصبح اسمها في اميركا وخارجها اعرف من ان يعرف ولا يذكر اسمها الا بالاحترام والاكرام. قالت احدى الاميركيات المطالبات بحقوق النساء في خطبة لها تحث بنات جنسها على طلب السلطة (حين يُذكر اسم مس هلن كولد امام اعظم الرجال فانهم يرفعون قبعاتهم احترامًا لها وذلك لما لها من السلطة والنفوذ فلنسع لنيل تلك السلطة التي تجعلنا محترمين امام العالم اجمع) فهذه السيدة قد وقفت حياتها ومالها ووقتها للاعمال الخيرية ولنفع الجنس البشري على اختلاف انواعه داخل بلادها وخارجها ولها لذة خاصة في نفع القطرين المصري والسوري وقد ساحت فيهما منذ عهد غير بعيد وتهب على الدوام الاموال لاجل التعليم فيهما و يلذ لها كثيرًا الحديث عنهما

علمت هذه الفاضلة من احدى صديقاتها الاميركيات الفاضلات اللواتي كان بينهن و بيني معرفة بان في نيو يورك شرقية تربت في مدرسة البنات الاميركية في طرابلس الشام وكانت

تصدر مجلة نسائية في مصر قبل رحيلها الى اميركا فتفضلت ورغبت في تشريفي بمعرفتها ٠ فدعتني الى زيارة منزلها ومقابلتها فسررت بهذه الدعوة اذ تمكنني من معرفة تلك الفاضلة ومحادثتها ٠ ومما زاد امتناني ان دعوتها كانت لصرف يومين في قصرها فقبلت الدعوة بسرور لانها فرصة لمشاهدة المعيشة الداخلية لاكبر العائلات الاميركية

﴿ منزل مس كولد في مدينة نيويورك ﴾ تسكن مس كولد في الشارع الخامس وهو أهم شوارع المدينة ويدعونه (شارع الاربعمائة) اشارة الى ان العائلات الاميركية الكبرى الثابتة اميركيتها لا تتجاوز ٤٠٠ ٠ ومنزل مس كولد مفتوح للزوار والضيوف فانه لا يمر يوم الا ويكون عندها ضيفان او ثلاثة ٠ وقلما تقيم وحدها دقيقة واحدة . الا ان هؤلاء الضيوف ليسوا ضيوف لهو وتسلية بل هم من كبيرات المعلمات والعاملات والكاتبات وخدمة الدين رجالاً ونساء والطبيبات واصحاب المشاريع العمومية الخ

والداخل الى منزل مس كولد يخال له انه داخل الى فندق من اعظم فنادق العالم فهو مؤلف من عدة طبقات يصعد اليها بالآلة المصعدة (اليفاتر) وفي الطبقة الاولى غرف الاستقبال والمائدة وفي الطبقة الثانية غرف مس كولد الخاصة والطبقة الثالثة والرابعة للضيوف وهلم جرا ٠ يدخل الضيف واول ما يعمله انه يقيد اسمه واسم بلده في دفتر موجود على مائدة في مدخل المنزل ثم يدخل فيجد كل طبقات البيت وغرفه مفروشة فرشاً متشابهاً فيصعب عليه التمييز بين طبقة وطبقة وغرفة واخرى ٠ وكل غرفة من غرف النوم تتصل بها غرفة حمام للاستحمام فيه مغطس وحنفيات ماء سخن وبارد ٠ وكل غرف البيت في كل الطبقات متصل بعضها ببعض باجراس كهربائية وبالتليفون معلقاً عليه كل نمر غرف البيت ومن يسكنها .وهكذا يخاطب الانسان وهو في غرفته من يشاء في اية غرفة كانت .اما اناقة وفخامة فرش البيت فلاداعي لوصفها فان القارىء يمكنه ان يتصور اثاث بيت صاحبة ملايين . فهو فاخر بسيط .

﴿ خدم مس كولد ومعاملتها لهم ﴾ — في منزل مس كولد ١٤ خادمة او اكثر وكاتمة اسرار ومدبرة منزل . اما الضيف عندها فلا يرى الا الذي يفتح له الباب والذي يخدم على المائدة . وهي تعامل الجميع بلطف ورقة معاملة النظير للنظير وتحادث كل واحدة من خادماتها بلغتها واحياناً تصطحب احداهن الى بعض المحلات كالكنائس وقلما يميز الناس مس كولد من بين خادماتها عند من لا يعرفها شخصياً لبساطة لباسها ٠ وتعتني بخدمها عناية خاصة فتعلم الجديدة منهن لغة البلاد وتلك تلقنها درساً على البيانو وما اشبه ٠ فاين هذه المعاملة

من معاملة السيدات اللواتي يترفعن على الخدم و يعتبرنهم من جبلة غير جبلتهن ويعددن الكلام معهم حطة . ولكن هؤلاء السيدات معذورات فانه حين لا يجد الانسان سلطة لنفسه يجتهد في ان ينالها على يد الضعفاء .

وقد حدثت لي حادثة ادهشتني لاول وهلة . وهي انني بعدان صعدت بالآلة المصعدة (الاليفاتر) اردت النزول فرأيت في يد الشاب الموكل بادارة هذه الآلة نسخة من الجامعة وهو يقرأ فيها تارة و ينظر اليّ تارة أخرى . فاستغربت الأمر وسألته هل يحسن العربية ومن اين وصلته تلك الجريدة فاجابني بالعربية انه سوري وهو مشترك فيها وما كنت ادري ذلك . ومس كولد تختار مستخدميها من جميع اجناس البشر . وقد ظهر لي من كلامها ان الذي يمثل الجنس السوري لديها شاب اديب لانها اثنت على امانته ونشاطه اطيب ثناء

❋ اوصاف مس كولد واخلاقها ❋ هذه السيدة الفاضلة في نحو الاربعين من عمرها وهي عازبة لم تتزوج وتعيش وحدها مستقلة لا دخل لاهلها في جميع اعمالها الا القليل وهي تخبرهم عنه على سبيل الاطلاع فقط . وهي ربعة القامة صبوحة الوجه لا يراها الانسان الا باسمة يكللها الهدوء والرزانة . وتحت ذلك الهدوء التام يرى نوراً متقداً ينبعث من عينيها كأنها تنظر به الى داخل الناظر اليها . ولا يمكن لمن يرى مس كولد الاّ ان يشاهد الصلاح والسلام في كل اشارة من اشاراتها وكل سكنة من سكناتها فيقول : اذا كانت الطبيعة البشرية يمكنها ان تصل الى ما وصلت اليه مس كولد فلا شك ان في البشر جزءًا من روح الله . وقد اتخذت هذه السيدة البساطة شعاراً لها حيث لا تلبس الا (فسطانين) اسود ورمادياً . وقلما رآها احد في غير هذين الثوبين مع انها تستطيع ان تبدل عشرة اثواب في اليوم اذا شاءت . وهي لا تهتم بالملاهي كالملاعب والمراقص وما اشبه لا بل هي من اضدادها . ولا تحفل بالاجتماعات والزيارات الا ما كان منها ذا غرض شريف . وهي تساعد كل جمعية او مشروع خيري او مدرسة او كنيسة من اي طائفة كانت ولا يهمها فريق دون آخر . فانها تعتقد ان جميع البشر اخوة على السواء وعلى كل انسان ان يساعد الآخر . و بهذا المبدأ تهب وتعطي ولكنها فيما سوى ذلك تُبخل بالدرهم على كل مالا تعود فائدته للعموم . وعندها قائمة هبات عمومية على طول السنة الى جميع البلاد ولم ازل اذكر اسماء تلك البلاد . فمثلا تهب يوم الاثنين لاجل التبشير في الصين و يوم الثلاثاء للتعليم في اليابان و يوم الاربعاء للجمعية الخيرية في ميلان وهلم جرا . وهكذا يكون لكل

عمل خيري ايراد سنوي منها، ولا تبنى مدرسة او كنيسة او ملجاء ما لم يكن اسم مس كولد في قائمة اكتتابه. وهي تبذل بسخاء وبسرور في ما ينفع وتجد سعادتها في تلك الهبات التي تهبها. وفي ايام الازمة المالية المشهورة بدلا من ان تمنع قسماً من تلك الهبات كما فعل كثيرون غيرها وتعتذر ان الايام ايام ازمة صرفت مدبرة المنزل اقتصادا وقامت هي نفسها مقام مدبرة المنزل فكانت تنهض من النوم في الساعة السابعة صباحاً لتلقي اوامر النهار على الخدم وتبحث هي بنفسها عن كل ما يجري فيما بين الخدم وفي البيت. وهي تنام باكرًا وتنهض باكرًا ولا تضيع دقيقة واحدة بدون عمل ما فهي مقسمة اعمالها وزياراتها تقسيماً اقتصادياً فتراها تعمل بيومها ما يحتاج غيرها لعمله الى يومين او ثلاثة

أذكر انني اول ليلة لي في ضيافتها جاءت بي بنفسها الى غرفتي وسألتني ماذا يلزمني لتفعله قبل ان تنام ثم دلتني على التليفون في الغرفة وقالت نمرة غرفتي سبعة فاذا احتجت الى امر في الليل فكلميني تليفونياً. وودعتني وذهبت. وبعد ان رقد الجميع دق جرس الحريق في المنزل وهذا الجرس لا يدق الا عند اضطرام النار في المنزل. فطبعاً عند سماعي هذا الجرس خطر لي كما خطر لكل الموجودين ان النار تشتعل فلم يتمكن مني هذا الفكر حتى سمعت الباب يقرع فزاد خوفي ظناً ان الخدم اتوا ينبهونني للخروج. فدهشت حين وجدت مس كولد نفسها نهضت من سريرها واتت تطرق عليّ الباب لتخبرني ان الجرس قد دق بالغلط وتقول لي لا تخافي. فكان يمكنها ان تكلم الخادمات تليفونياً ان تقوم احداهن بهذه الخدمة الا انها قالت في نفسها ولا شك بان الوقت الذي اكلم به الخدم ليبلغوا الخبر اليّ يكون قد حصل الخوف عند النائمين. فما اشرف هذه الشهامة والعناية

وقد اتفق في اثناء زيارتي وجود ضيفتين غيري احداهما الدكتورة باتريرك وهي دكتورة في الفلسفة ورئيسة مدرسة البنات الاميركية في الاستانة والثانية سيدة من غنيات الاميركيات فكنا نذهب مع مس كولد حيث تذهب وهي تلازمنا كل دقيقة من وقتها وكانت تسأل رئيسة مدرسة البنات في الاستانة كثيرًا عن حالة السيدات التركيات وعن حوادث الدستور الخ فكانت الدكتورة تقص علينا كثيرًا من تلك الاخبار وقد سررت كثيرًا حين تكلمت عن السيدات التركيات وعن تقدمهن ومعارفهن وقالت الدكتورة ان السيدة التركية بالرغم من تحجبها نراها متمتعة بامور تحسدها عليها اخواتها الاميركيات (١)

(١) ربما قصدت بهذا القول عدم تعب الشرقيات في تحصيل رزقهن والحصول على جميع لوازمهن بسهولة (حاشية للكاتبة)

فكانت مس كولد تسمع كلامها بلذة وقالت يسرني جداً ان اسمع هذا الكلام عن اخواتنا في الشرق و يجب ان نسعى لمساعدتهن بكل ما نقدر عليه

وفي المساء تعشى معنا احد كبار موظفي الحكومة ومدامته فكانت مس كولد تبحث مع ذلك الموظف في امور سياسية · الى ان توصلت للمسجونين فسألته عن احوالهم ولماذا لاتهتم الحكومة بترقية نفوسهم بتحويل السجون الى قاعات خطب وتعليم فان هذا افضل بكثير من الاشغال الشاقة وما اشبه واتصل بهم الكلام حتى وصلوا الى النساء وحق التصويت فقالت مس كولد ما رأيك في حركة النساء والتصويت هل انت راض عنها . فاجاب نعم وانني اشجعهن على هذا فانني حين ارى ان لذلك المجرم وذلك السكير صوتاً في الانتخابات فلا أعلم لماذا لا يكون صوت لسيدة مثل مس كولد ومثل الحاضرات بل عشر اصوات . فان هذا ليس بحق ولا بعدل . ولذلك انني اوافق كل الموافقة على دعوتهن هذه ولا ريب انهن سينلن امنيتهن يوماً من الايام · فقالت مس كولد الا انهن يجهدن و يصرفن في حربهن هذه اكثر مما سينلنه فانني لا ارى ذلك امراً يستحق ان يحارب لاجله فانني اكره كل حرب · وفي الوقت نفسه ارى حرباً دائمة في داخلي .

فقالت زوجة ذلك الموظف لقد ذكرتني بابنتي الصغيرة فانها حين اتت لتنام وتصلي صلاتها خطر لها ان تسأل ما معنى (نجنا من الشرير) الموجودة في الصلاة الربانية · ومن هو الشرير · ففسرت لها ان الشرير هو الذي يحارب نفسنا فقالت كلمة يحارب فهمتها ولكن ما هي (نفسنا) واين هي · فقلت في نفسي ما أصعب هذا السؤال . فضحكت مس كولد وقالت و بماذا جاوبت استاذتك الصغيرة · اجابت قلت لها ان النفس هي القسم الذي لا نراه منا

بتُّ الليلة الاولى في قصر مس كولد وهي ليلة سبت . وفي صباح الأحد أمرتْ باعداد اوتوموبيلها وسألتني مرافقتها الى الصلاة في الكنيسة · وقالت لي متفضلة اننا سنذهب الى الكنيسة السورية اكراماً لك . فقلتُ لها انني اعرف الكنيسة السورية وقد ذهبتُ اليها مراراً . فقالت نذهب اذاً الى كنيسة لم تزوريها بعد · ذلك لان مس كولد تذهب في كل يوم احد الى احدى الكنائس مناوبةً · وقد ذهبنا في صباح ذلك اليوم الى الكنيسة الارمنية و بعد الظهر الى الكنيسة الايطالية واخذتْ مس كولد معها باقة زهر فاخرة هدية الى عمدة الكنيستين · وجميع كنائس نيويورك تعرفها · واليوم الذي تصلي فيه في احداها يكون يوم عيد فيها

وفي صباح يوم الاثنين بعد مائدة الصباح استأذنتُ في الانصراف ولما ودعت حضرتها قلت لها · انني لا أنسى مدة حياتي كلها الوقت الذي صرفته تحت سقف منزل السيدة التي هي افضل مثال للسيدة الغنية الفاضلة فضلاً حقيقياً · وحقاً ان من يريد ان يعلم كيف تكون المرأة اذا جمعت بين الثروة والعقل والفضل وكمال التهذيب والصلاح فليدرس حياة مس هلن كولد ومعيشتها واعمالها

ولو كان النساء كمثل هذي لفضلت النساء على الرجال

جعل الله حياة هذه المرأة الفاضلة التي نشرت خبرها في هذه الصفحات قدوة لنساء اغنيائنا وكبارنا

اثبات درون

الارستوقراتيه والرق في الحيوان

كما هما في الانسان

وتقريره ان الغريزة ليست واحدة في الحيوان وانها مقرونة بشيء من الادارك والمعرفة * فهي بالتالي غيرما يصفهابه القائلون من ان الخالق غرسها فيه * ويجوز ان يقال ان للحيوان عقلاً خاصاً به

بقلم نقولا افندي حداد

في هذه المقالة نلخص بتصرف ما كتبه العلاَّمة داروين عن الغريزة في كتابه اصل الانواع بياناً لمذهب الذاهبين أن العقل شائع في الحيوانات ولكنه يتفاوت فيها رقياً كتفاوتها بنيةً جسمانية · ومنه تستفاد اسباب الرقي التي قضت بها عوامل الطبيعة المختلفة

❋ الغريزة والعادة ❋ قال دارون : لا يخفى معنى القول ان الغريزة ترشد طير الكوكو الى المهاجرة والى وضع اناثه بيوضها في عشوش سواها من الطيور لان الطقس

يضطرها الى المهاجرة قبل ان يتسنى لها الوقت الكافي لاحتضان بيوضها . فعمل كهذا نحتاج نحن الى اختبار ومزاولة لكي نعمله · واما الحيوانات ولا سيما (اصغرها فتعمله بلا سابق مزاولة ولا اختبار وكل افرادها تعمله على اسلوب واحد من غير ان تعلم لأي غرض تعمله ولذلك يقال لعملها هذا انه غريزي

ولكني مع ذلك اقدر ان اورد شواهد على ان الصفات الغريزية ليست عامة اي متماثلة في كل انواع الجنس بل يوجد بينها بعض الاختلاف يدل على اهبة تنوعها ولهذا اعتقد كما قال بيار هوبر ان أثراً من قوة الحكم والمعرفة يصاحب الغريزة في عملها حتى في احقر درجات الحيوانات

وقد فسر فردريك كوفيه وكثيرون غيره من علماء العقليات الغريزة بالعادة · وهذا التفسير يستلزم تصور وجود اثر عقلي في العجماوات يرشدها الى عمل اعمالها الغريزية ولكنه لا يدل على اصلية ذلك الاثر . ان كثيراً من افعال العادة نفعله بلا انتباه خلافاً لمقتضى ارادتنا ومع ذلك تعدله الارادة والتعقل

العادات مرافق بعضها لبعض ولا سيما في احيان معينة وفي حالات الجسم الخصوصية ومتى حدثت العادة مرة بقيت كل العمر · وعندنا شواهد عديدة على التشابه بين العادة والغريزة . فالافعال الغريزية تتوالى كما تتوالى مقاطع الاغنية في صوت المغني . فاذا قوطع المغني في اغنيته اضطر ان يعيدها من اولها لكي يستعيد محفوظها العادي في ذاكرته

وقد اورد هوبر شاهداً اكيداً على هذه الحقيقة اذ لاحظ امر غريباً في الدود الذي ينسج نسجاً كثيفاً مثل دود الربيع مثلاً ودود الحرير ورأى انه اذا اخذنا الدودة التي انجزت الدور السادس من نسيجها الى نسيج آخر لم ينسج منه سوى الادوار الثلاثة الاولى تجعل هذه الدورة تستتمه اي تنسج الادوار الثلاثة الباقية · ولكن اذا اخذنا الدودة التي انجزت الدرجة الثالثة من نسيجها الى نسيج آخر تام اي في الدور السادس بحيث انه لم يبق لها عمل لتعمله فيه فلا ترتاح فيه بل تشعر انها مرتبكة كأن عليها واجباً يجب ان تتمه وهكذا تستأنف نسجها من الدرجة الثالثة فما فوق كانها تنهي نسيجها الاصلي

اذا سلمنا ان العادة تصبح وراثة على ممر الاجيال فمتى صارت كذلك تصبح المشابهة بين ما كان في الاصل عادةً وبين الغريزة شديدة الى حد ان يستحيل تمييزهما فلو امكن موزار الموسيقي المشهور — الذي استطاع ان يتعلم لعب البيانو في الثالثة من عمره بمزاولة

قليلة — ان يلعب لاول مرة لحناً بلا مزاولة ولا تمرين البتة لامكن ان يقال انه لعب ذلك اللحن بالغريزة

ولكن من الخطاء العظيم ان نعتقد ان معظم الغرائز نتيجة العادة في جيل واحد وثم انتقلت هذه العادة بالوارثة من جيل الى آخر كما نشأت اي بلا تعديل ولا تنويع . وفي الامكان ان نبين ان معظم الغرائز العجيبة التي نعرفها مثل غرائز النحل في بنيان اقراص الشهد وغرائز النمل لا يمكن ان تكون قد نشأت في الاصل كما نراها الآن اي من مجرد تكرار العادة في عهد قصير بل تقلبت في ادوار مختلفة وترقت حتى بلغت الى هذا الدور العجيب الذي نراه

ولا يصعب التسليم بان للغرائز اهمية كاهمية تركب الاعضاء لاجل حفظ حياة كل نوع من انواع العجماوات في احوال حياته . وفي احوال الحياة المتغيره يكون تعديل الغريزة او تكييفها ولو قليلاً نافعاً للنوع . وكما ان التركيب العضوي يتكيف بتكيف الاستعمال والعادة ويزداد تكيفه بفعلها ويقل بقلة الاستعمال هكذا الغريزة تتكيف وتتغير ايضاً

ولا يخفى ان غريزية كل نوع من الحيوانات مفيدة له ولم تنشأ فيه الا لانها نافعة له لان الحيوان لا يعمل عملاً الا اقتضته حاجته الطبيعية • ومتى عمله تعوده والعادة تصبح غريزة والعمل الذي لا فائدة منه للنوع لا يعمله • واذا كان قد تعوّد ان يعمله ثم بطل أن ينفعه لعارض طبيعي او لتغير البيئة يبطل ان يعمله • ومع ذلك عندنا شاهد عظيم على ان بعض انواع الحيوان تعمل بالغريزة اعمالاً تفيد انواعاً اخرى على غير قصد منها

✻ النمل يحلب البرغش ✻ فمن ذلك ان نوعاً من الهوام — يدعى Aphides (افيدس) كالنمل والبراغيث والبعوض ولاسيما البعوض الذي يعيش على بعض الاشجار والنباتات — يفرز عصيراً حلواً للنمل . وقد اختبر دارون ذلك بنفسه وهذه رواية اختباره بنصها : —

قال : ابعدت النمل من بين جماعات نحو ١٢ نوعاً من تلك الهوام المذكورة آنفاً اذ كانت ترعى في احدى النباتات . وراقبت هذه الهوام جيداً بضع ساعات فلاحظت انها تريد ان تفرز عصيرها ولكنها لا تستطيع • وقد دققت النظر فيها جيداً بواسطة عدسية مكبرة فلم اجد ولا واحدة منها تفرز شيئاً • فتناولت شعرة وجعلت ادغدغها بها كما كنت ارى النمل يدغدغها بخرطومه فلم تفرز شيئاً • واخيراً وضعت النملة بين تلك الهوام فوجدتها تمرح بينها كانها وجدت كنزاً واخذت تداعبها بخرطومها وتدغدغ به بطونها متنقلة من الواحدة الى الاخرى فكانت كل منها عند شعورها بالدغدغة تفرز قطرة صغيرة جداً من

السائل الحلو فتعود النملة تمتصه ٠ وكانت حتى اطفال هذه الهوام تفعل فعل امهاتها الامر الذي يدل على ان ذلك غريزة فيها لا نتيجة مزاولة

فلا يخفى ان تلك الهوام لم تفرز ذلك السائل حبّاً بسواد عيني النملة بل لكي تتخلص منه على الارجح لانه سائل لزج لا ينفصل منها ولو افرز الاً اذا امتصته النملة .فعوَّدتها النملة ان تمتصه منها وان تدغدغها لكي تفرزه وصارت هذه العادة غريزة في النوعين

ومع انه ما من نوع من الحيوانات يفعل فعلاً لاجل منفعة نوع آخر نرى ان كلا من الحيوانات يجتهد في انه ينتفع بغريزة نوع آخر كما ينتفع كل نوع بضعف نوع آخر اضعف منه جسماً

﴿ طائر يحضن بيوض طائر آخر ﴾ ومن الشواهد على الحقائق السابقة ان انثى طائر الكوكو الاوروبية تبيض في عش غيرها من الطيور ومتى انتهى بيضها تهاجر . وسبب ذلك انها تبيض كل ثلاثة او اربعة ايام بيضة ٠فاذا رامت ان تبني عشها لنفسها وتحضن بيوضها فالبيوض التي تبيضها اولاً اما تبقى مدة بلا حضانة او يجتمع في العش الواحد بيض وفراخ من اعمار مختلفة معاً ٠ ولذلك تكون الحضانة متعذرة على انثى الكوكو ولا سيما لانها مضطرة ان تهاجر في اول الفصل .ويرجح ان الذكور تقوت الفراخ المتقوفة اولاً

اما الكوكو الاميركية فتبنى عشها لنفسها وتبيض بيوضها فيه فتنقف متتابعة بحسب اعمارها حتى انه يوجد في العش الواحد فراخ و بيض معاً

وكثير من انواع النمل كالزراقط مثلاً تبيض بيضها في قفران النمل الاخرى لكي تنقف فيها وتتغذى من عسلها ذلك لانه على قلة الاستعمال لم يبق لها العضوا اللازم لجمع النمل وادخاره لاطفالها

واسراب النعام الاميركي تتفق على عش واحد وتبيض بيوضها فيه كلها مرة وتتركها لاحد الذكور فيحضنها ثم تبيض كلها في المرة الثانية معاً في عش آخر وتتركه على نحو ما تقدم وسبب ذلك ان النعامة تبيض كل يومين او ثلاثة بيضة فلا تجمع بيوضها في وقت قصير لتحضنها

﴿ النمل سادة وعبيد ﴾ واعجب مما تقدم من الشواهد على ان غرائز بعض انواع الحيوانات تفيد انواعاً اخرى على غير قصد منها حتى انه ليتراءى لنا ان الانواع المنتفعة تستخدم غريزة سواها كانثى طائر الكوكو التي تبيض في عش غيرها — اعجب من ذلك غريزة النمل الذي يستعبده غيره

اكتشف هذا النوع من النمل العلامة بيار هوبر فالنوع المستعبد (بكسر الباء) يسمى فورميكا روفيسنس Formica rufescens والنوع المستعبد (بفتح الباء) اي الرقيق او الخادم يسمى فورمكافسكا (Formica fusca)

فالنوع الاول المستعبد يتكل الاتكال المطلق على عبيده ولولاهم لانقرض . فذكوره واناثه المنتجة لا تشتغل مطلقاً حتى انها لا تستطيع بناء اوكارها ولا اطعام صغارها . واما الاناث العقيمة فمع انها قوية لا شغل لها الا اسر الارقاء ولها جسارة غريبة في ذلك .

وحينما يصبح وكر هذه الطائفة من النمل غير صالح للسكنى وتضطر لمهاجرته الى سواه تقرر المهاجرة النملات الرقيقات الخادمات وفي الحال تحمل كل نملة رقيقة واحدة من سيداتها او سادتها بين فكيها وتسير بها الى الوكر الجديد

وقد امتحن هوبر النملات المتسيدة فوضع نحو ٣٠ منها وحدها مع اطفالها ووضع معها الطعام اللازم لها فلم تستطع ان تقوت نفسها ومعظمها مات جوعاً . وبعد حين اضاف لها نملة من خادماتها فجعلت هذه في الحال تقوت سيداتها التي لم يزل لها رمق

وهناك نوع آخر من انواع النمل الذي يستعبد غيره يسمي فورميكاسنغوينا(Formica sanguina) اكتشفه هيوبر ايضاً وهو يوجد في جنوبي انكلترا وقد اختبره العلامة دارون بنفسه وهامفاد اختباره قال :ـ

فتحت ١٤ وكراً من اوكار هذا النوع ووجدت فيها ارقاء قليلين . وقد وجدت الذكور والاناث المنتجة (التي تلد) من الارقاء التي تدعى فورمكافوسكا في اوكارها الخاصة ومع جماعاتها ولم اجد واحدة منها في وكر من اوكار النوع الآخر المستعبد المسمى فورميكا سنغوينا

اما النملات الرقيقات فسوداء وساداتها حمراء . وحجم هذه ضعفا حجم تلك . وحين يحدث حادث مزعج يتهدد الوكر بالخراب تخرج النملات الرقيقات مع ساداتها قلقة وتجتهد ان تحمي الوكر معها . وحينما يحدث ما يزعزع الوكر وتصبح الاطفال والبيوض عرضة للخطر تشتغل النملات الرقيقات مع سادتها في نقلها الى مكان امين . ولهذا تشعر النملات الرقيقات وهي مع سادتها كانها في منزلها ومع اهلها

راقبت على ٣ سنين في شهري حزيران وتموز عدة اوكار في « سوري » و « سكس » (انكلترا) فلم اجد نملة رقيقة تدخل وكراً او تخرج منه . ولما كانت الرقيقات في هذين الشهرين قليلة جداً كنت اظنها تتصرف تصرفاً يختلف عن تصرفها حين تكون كثيرة .

ولكن المستر سمث الذي اختبرها جيداً قال لي انه راقب الاوكار في « سوزي » « وهمشير » مدة مايو و يونيو واوغسطس فلم يرَ نملة من الرقيقات مع انها تدخل الاوكار وتخرج منها في اوغسطس بكثرة ولهذا لاحظ انها رقيقات ولكنها اليفة كاهل المنزل . اما السادة فكانت ترى قادمة الى الوكر بالمواد اللازمة للبناء و بمواد الطعام من كل نوع

وفي شهر تموز من سنة اخرى عثرت على جماعة نمل ومعها جمهور كبير من الخادمات الرقيقات ورأيت بعض هذه مختلطة مع سيداتها وهي خارجة من الوكر ومشت جميعاً في طريق واحد الى احدى الاشجار على بعد ٢٥ يرداً وصعدت الى حيث كانت تبحث عن بعض الهوام من نوع الافيدس(Aphides)

وقد رأى هوبر في اثناء ملاحظاته في سويسرا ان الرقيقات تشتغل مع سيداتها في بناء الاوكار وهي وحدها تفتح ابوابها وتقفلها صباحاً ومساءً . ولكن وظيفتها الاساسية البحث عن الهوام التي من نوع الافيدس . وهذا الفرق في عادات السادة والرقيقات بين نمل انكلترا ونمل سويسرا سببب في الارجح عن ان الرقيقات تستعبد في سويسرا اكثر منها في انكلترا

لاحظت ذات يوم مهاجرة نوع النمل المسمي فورمكا سنغوينا من وكر الى آخر . وكان اجمل ما رأيته ان النملات السيدات كانت تحمل رقيقاتها بين افكاكها خلافاً للنمل المسمي فورميكا روفسنس الذي تحمله رقيقاته

﴿ حرب النمل ﴾ وفي حين آخر استلفت نظري نحو عشرين نملة من النمل الذي يستعبد سواه تحوم حول الوكر نفسه ولاحظت انها لا تبحث عن طعام . فلما اقتربت من ذلك الوكر خرجت عليها جماعة من النمل الرقيق (فورمكا فسكا) التي لم تزل حرة ودحرتها . وكانت بعض الاحيان ثلاث نملات من الرقيقات تتعلق باتخاذ اعدائها (المسماة فورمكا سنغوينا) وكانت هذه النملات الغازية تقتل بعض خصيماتها النملات الصغيرة التي لم تزل حرّة وتنقلها الى وكرها على بعد ٢٩ يرداً وتدخرها هناك كطعام ولكن استحال عليها ان تنهب طفلات خصيماتها لكي تربيها وتستعبدها

عند ذلك بحثت عن كتلة من تراب الوكر تحتوي على صغار النمل الرقيق (فورمكا فسكا) ووضعتها في مكان مكشوف قرب وكر النمل الغازي فقبض عليها هؤلاء الغزاة الذين حسبوا انهم ظفروا بغنيمة . وفي الوقت نفسه وضعت كتلة من وكر تحتوي على صغار نمل آخر يدعى فورمكا فلافا(Formica flava)ومعها بعض نملات صفراء لم تزل

مستمسكة بالكتلة ٠ وهذا النوع يؤسر احياناً ولو نادراً كما قال المستر سمث . ومع ان هذا النوع صغير فانه شجاع ٠ وقد رأيته يهاجم نوعاً آخر من النمل بشدة

ودهشني شاهد غريب وهو ان جماعة حرّة من النمل فورمكا فلافا القابل للعبودية كانت تحت حجر فوقه وكر للنمل المستعبد فورمكا سنغوينا . وحينما قلقلت الوكرين رأيت تلك النملات الصغيرات تهاجم جاراتها هذه الكبيرات بشجاعة عجيبة . وعند ذلك رغبت في ان التحقق ما اذا كان النمل المستعبد فورمكا سنغوينا يميز اطفال النمل فورمكا فسكا (التي اعتاد ان يستعبدها) من اطفال النمل فورمكا فلافا الذي يندر ان يأسره فرأيت انه كان يميزها في الحال لاننا رأيناه يقبض على اطفال فورمكا فسكا بحماسة حتى اذا مرّ باطفال النمل الاصفر فورمكا فلافا او على تراب وكره يضطرب ويهرب مسرعاً كأنه هارب من وجه عزرائيل ٠ ولكن بعد ربع ساعة هرول النمل الاصفر فورمكا فلافا حاملاً اطفاله ومضى مغادراً وكره الذي تهدم

وفي احد الامساء زرت جماعة من نمل فورمكا سنغوينا فوجدت جماعة منها رجعت الى وكرها وحاملة موتى النمل الرقيق (فورمكا فسكا) وعدداً من الاطفال الامر الذي دلّ على انها لم تكن مهاجرة . وقد تأثرت طريقاً طويلاً تسير عليه النمل وكل نملة تحمل غنيمة مسافة ٤٠ يرداً الى شجيرة غضة حتى رأيت آخر واحدة منها تدخل حاملة طفلتها ولكنني لم استطع ان ارى الوكر المهجور تحت الشجيرة الاخرى الغضة ٠ على انه لا بد ان ذاك الوكر كان يتهدم لاني رأيت ٣ نملات من فورمكا فسكا مندفعة بطفلات بين افكاكها وهي مضطربة الى ان وصلت الى رأس غصن حيث استقرت كانها تعبة تستريح ويائسة من منزلها المتهدم

﴿الفرق بين النوعين﴾ هذه بعض طبائع النمل الدالة على غرائب الغريزة ٠ ومما تقدم يرى القارىء الفرق بين نوعي النمل المستعبدين اي بين فورمكا سنغوينا الذي يعيش في انكلترا وفورمكا روفسنس الذي يعيش في اوروبا كلها . فهذا الاخير لا يبني وكره ولا يقرر مهاجرته ولا يجمع طعامه لنفسه ولا لصغاره ولا يقدر ان يطعم نفسه بل يتكل في كل ذلك مطلق الاتكال على عبيده العديدين

اما فورميكا سنغوينا فله عبيد اقل وفي اول الصيف يكون عبيده اقل جداً والسادة انفسها تقرر المهاجرة وتعين زمانها ومكانها وتحمل صغارها ٠ وفي كلتا انكلترا وسويسرا لا تهتم عبيد هذا النوع الا بامر اطفال سيداته والسادة تذهب في طلب العبيد واستعبادها

وفي سويسرا السادة والعبيد يشتغلون معاً في صنع مواد الاوكار ونقلها ٠ وكلا الفريقين ولاسيما العبيد يلازمون الافيدس ويحلبون عصيرها وكلاهما يجمعان طعاماً للقبيلة

في انكلترا السادة وحدهم يتركون الوكر لكي يجمعوا المواد والطعام لهم ولعبيدهم وصغارهم ٠ وبالاختصار ينال السادة في انكلترا خدمة من عبيدهم اقل مما ينالها السادة في سويسرا

﴿تعليل غريزة الاستعباد﴾ ولما رام دارون ان يعلل نشوء غريزة النمل هذه قال لا ادعي اني استطيع تبيان الخطوات التي خطتها غريزة فورمكا سنغوينا ٠ ولكني اقول لما كان النمل (غير المستعبد غيره) يحمل اطفال انواع اخرى غيره اذا وجدت حول وكره لكي يخزنها كطعام لهُ فيحتمل ان هذه الاطفال تنمو وتقوى وهكذا تتعود هذه النملات الغريبة التي تربت فيوكر ناهبيها (على غير قصد) العمل الذي ترشدها اليه الغريزة اي انها تجمع الطعام فتنتفع به سيداتها ٠ فاذا دل وجودها في الوكر على انها ذات فائدة للنوع الذي انتهبها وربيت عنده — اي اذا كان امر النمل العامل افضل للنمل الآسر من تربيته — تتقوى عند النمل الآسر عادة جمع اطفال النمل (وكانت هذه العادة في الاصل بغية لادخار الاطفال طعاماً) وتصبح بقوة الانتخاب الطبيعي عادة دائمة بغية تربية العبيد

فحينما يحدث الامر مرة ويتكرر ولو اقل ما يمكن كما هو الامر مع فورمكا سنغوينا (الذي يعيش في انكلترا) الذي يساعده عبيدهُ اقل مما يساعد العبيد النوع نفسه (الذي في سويسرا) فلا اجد صعوبة على الانتخاب الطبيعي في تقوية الغريزة وتكييفها ٠ هذا على اعتبار ان كل تكييف يرمى به الى نفع ذلك النوع الذي يتكيفه حتى تصبح كل نملة وقد تكيفت على اسلوب يضطرها ان تكون متكلة تمام الاتكال على سواها كما هي الحال في فورمكا سنغوينا

﴿شكر﴾ تهدي مجلة الجامعة خالص شكرها وامتنانها الى حضرات الرصفاء في مصر والشام والاقطار الخارجية الذين احسنوا الظن بها ونشطوها في بدء حياتها الجديدة في مصر. ونخص منها بالذكر الصحافة المصرية اليومية الكبرى التي لقيت الجامعة من كرم اخلاقها ومساعدتها وتنشيطها فوق ما هي اهل له ٠ نسأل الله ان يأخذ بيدهم جميعاً في سبيل خدمة المصلحة العمومية وان يديم فضلهم على قراء اللغة العربية ويبقي الجامعة اهلاً لثقتهم وتنشيطهم

بين الهزل والجد

شيخ كوني آيلند

بين الاهرام وابى الهول

قلت في نفسي حين سفري من نيويورك ماذا يقول غداً صاحبنا الشيخ ؟

لقد كانت تسرني صحبته في كوني آيلند (١) coney Island ويظهر ان صحبتي كانت تسره لانني ما ذهبت يوماً اليها الا وأسرع اليَّ اول ما تقع عينه علي ٠ وكنت عاهدته على ان ازوره مرة في الشهر على الاقل فكنت اذا زرته ترك عمله في حانوته الذي انشأه للتنجيم ومعرفة الغيب من النظر في اليدو سار معي على شاطيء البحر. فنقضي هناك ساعة او اكثر في الثرثرة والكلام عن اميركا وسوريا ومصر . واحياناً يشرد بنا الخيال فيشمل كلامنا كل قطر وكل مصر ٠ هذا ونحن جالسان على مقعد وامواج الاوقيانوس الاتلانتيكي تتكسر تحت اقدامنا . وصوتها يدوي في الفضاء تحت الظلمة الدامسة دوياً تنزعج له النفس لما نتصوره من هول ذاك البحر وعمقه الذي كم فيه من رمس .

ولا انسي الليلة الاخيرة التي كانت فيها آخر زياراتي له ٠ فانه وثب بغتة عن المقعد

---

(١) ※ الجامعة ※ كوني آيلند بلدة الملاهي والالاعيب قرب نيويورك ٠ وهي تفتح صيفاً وتقفل شتاء . ويقصدها في كل ليلة عشرات الوف من الناس. وفي ايام الحر الشديد يبلغ زائروها في نهار الأحد نصف مليون شخص ٠ وفيها الملاعب والحانات والفنادق واماكن للالعاب المدهشة المتعددة وكل ما يمكن ان يتصوره الذهن وينطوي تحت لفظ (لهو ولعب) حتى الخلاعة التي هي من لزوميات الملاهي على ما يظهر ٠ وهي ذات قباب وابراج تنار هي وسائر الملاهي بملايين من الانوار الكهربائية فتظهر عن بعد كأنها شعلة من نار تلتهب .وهي والمنارة اول ما يظهر من نيويورك في الليل للمسافرين من أوروبا الى اميركا .

وثبة المأخوذ وصاح (وجدتها وجدتها) فقلت مالك يا ارخميدس • فقال بجد ورزانة لا تمزح فانني اكتشفت اكتشافاً اعظم من اكتشافه • قلت هات اكتشافك يا صاحب الاكتشافات. فقال ماقولك في ان امد يدي الآن فانال بها مصر . فقلت أيدك طويلة الى هذا الحد • قال شكراً لك فانك تتهمني بطول اليد ولكنني اجدّ ولا امزح افلا تصدقني • قلت بلى بلى صدقتك واعفيتك من التجربة • قال لا بل اجرب التجربة امامك وهمّ بالمسير • فامسكته بطرف ثوبه وقلت له • ياشيخي دع الشعوذة للحانوت • اصطياداً للقوت • وادّعِ لدى الاميركيين علم الغيب والملكوت . والجمع بين اللاهوت والناسوت . والسفر على اجنحة الرياح او في بطن الحوت • وتحويل اصداف البحر الى زبرجد ولؤلؤ وياقوت • واما انا صديقك في غربتك ورفيقك في دار هجرتك فانني عليم بصناعتك وقدرتك فلا حاجة الى زيادة علمي بها

فاطرق حين سماعه هذا الكلام اطراق متألم يكتم ألمه • ثم تناول قلمه • وخطّ به على قرطاس صغير اخرجه من جيبه هذه العبارة « كنت اظنك من الافاضل • فاذا بك اقل من باقل » فكانت حينئذ نوبتي في الاطراق والالم • ثم نظرت اليه وضحكت وقلت « سبحان من لم يعلمك مالا تعلم »

فجلس بجانبي بعد ان ازال ألمه بألمي وقال — لماذا اسرعت في ملامي قبل ان تفقه كلامي • اذا كنت اتخذ الشعوذة مع سذج الاميركان فلا اتخذها مع اصدقائي • ولو تأملت في ماقلته لك واصطبرت حتى اتم كلامي لرأيت ما ينطوي تحت هزله من الجد • انني اعيش هنا غريباً عن وطني • لاشيء يسرني وكل شيء يحزنني • وليس لي في هذه الغربة الا سلوة واحدة . اتعلم ماهي ? هي هذا البحر الذي امامك • ففي كل ليلة بعد اقفالي الحانوت اقصد هذا الشاطىء واقف عليه وأرسل رائد التصور والخيال فوق مياه البحر الى جهة الشرق . واطلق العنان للوجد . الى مكان فيه للاخوة والآباء والاجداد مهد ولحد • ثم ادنو من هذا الماء فاغمس كفي فيه فاجد لذلك لذة ليس بعدها لذة • ويخيل الي حين اصافح هذا الماء انني اصافح مصر نفسها • اليس هذا الاتلانتيكي متصلاً بالبحر المتوسط في جبل طارق ? ثم اليس البحر المتوسط معانقاً مصر وبعض ثغورها . واذا كانت امواج الكهرباء اللاسلكية يمكنها ان تسير على سطح البحر من الغرب الى الشرق فما يمنع ان تسير كهربائية نفسي المتقدة من هذا الشاطىء الى الشاطىء المصري مثلاً . ثم امستبعد انّ دقائق هذا الماء التي غمست كفي فيها قد كانت من قبل على شاطىء مصر ونقلها الى هذا

الشاطئ الزمان وتداخل البحرين وامتزاجهما . الا تكون كفي قد نالت مصر او جزءاً من مصر حين وضعتها فيها

فادهشني التأويل الشعري الجميل الذي اوّل اليه كلامه . وصمتّ حيناً اسائل نفسي هل اجزيه عن هذا التأويل باطلاعه على ما كان في عزمي من تقويض الخيام وتوديع تلك البلاد بسلام . فقال مالك لا تجيب . فقلت أأنت مقيم يا شيخي زمناً طويلاً في هذه البلاد . فرفع رأسه الى السماء وقال : حتى يشاء رب العباد . فنهضت وقلت له . تعالَ تعالَ اذاً نصافح معاً سوريا ومصر من وراء البحرين . واعذرني لانني اسأت الادب معك . ومن أقرّ بذنبه فلا ذنب له

ثم اخذت بيده واخذ بيدي ودنونا من الماء وغمسنا فيه كفينا ومسحنا به وجهينا وعدنا الى مجلسنا ساكتين

انني هنا اجد ولا امزح . لقد غمست كفي يوماً في ذلك الماء واحسست بشيء يحس به كل غريب اذا لقي صديقاً قديماً . وكان ذلك في اول مرة واجهتُ فيها مياه الاوقيانوس الاتلانتيكي في شاطئ كوني آيلند لان هذه المياه لا تصل الى مرفإ نيويورك الذي تحيط به مياه نهر هدسن . فيا لذة تلك الليلة التي جلستُ فيها منفرداً لاول مرة بازاء ذلك الاوقيانوس الهائل وهو يرغي و يزبد من جهة . واصوات الافراح والملاهي في كوني ايلند تعلو من جهة أخرى . وزئير مدينتي بروكلين ونيويورك يرتفع الى السماء من جهة ثالثة . لقد كان امامي اعظم ما في الدنيا من بر و بحر و بداوة وحضارة وجد ولعب . ولكن كل تلك العظائم لم تكن لتنسيني الزوايا الشرقية الصغيرة التي ربيتُ ونشأت فيها

ولما استقبلت بي الباخرة بلدة كوني آيلند وهي خارجة من نيويورك اعدتُ هذا السؤال في نفسي : ماذا يقول غداً صاحبنا الشيخ ؟

وفي ذات يوم وانا اجول في الجزيرة في ضواحي القاهرة لقيتُ جمهوراً من الناس مجتمعاً حول العوبة منصوبة بجانب سطح قهوة قرب جسر الجزيرة . وكان الاولاد يصعدون من جانب على السطح المائل المتحرك الذي يرفعهم ثم يتزحلقون من جانب آخر وبجانب المزلقة على الارض شيخ وفتى واقفان يضحكان . فوقفت مع الواقفين اسمع وأرى فسمعت الفتى يقول للشيخ باللغة الانكليزية « اين هذا مما عندنا في كوني آيلند » فدهشت عند ذكر كوني آيلند ودنوت من الشيخ والفتى لاستخبر خبرهما . فلما واجهتهما وانعمت النظر في وجهيهما عرتني دهشة واية دهشة . ذلك انني عرفت شيخ كوني آيلند الذي فارقته في

نيويورك • فبسطت اليه يدي وقلت : سلام على الشيخ الكريم • فالتفت الشيخ نحوي التفاتة متبين ثم ضحك حتى بدت نواجذه و بسط يده وقال : سلام على المؤمنين الصادقين الذين لا يسافرون دون ان يودعوا اصدقاءهم • فقلت ومتى كان القدوم • فقال متهكما حين كان القدوم . فقلت هل هي رحلة ثم اوبة الى ديار الغربة . ام هي اقامة واستكانة في ارض الكنانة . قال لا لا بل هي اقامة واستكانة والحمد لله رب العالمين

ثم اخذ يدي وقال — كنا منطلقين الى الاهرام لان رفيقي هذا الشاب الاميركي متشوق الى زيارتها فهل ترافقنا اليها فاعرفك الى هذا الصديق الجديد الذي حلت صحبتي له بعد سفرك محل صحبتك ولذت لي عشرته كعشرتك واحاديثه ومناظراته كاحاديثك ومناظراتك • وهناك نأخذ باطراف الحديث القديم منه والحديث • فنتذكر معاً كوني آيلند وما فيها من الالاعيب والبدائع • وما حولها وراءها من الغياض والرياض التي تغرد فيها الاطيار السواجع و يعطر جوها ارج الزهر اليانع • والمستنقعات التي تطير فوقها الحباحب وتنق فيها من بعيد الضفادع . فقلت انني كنت ايضاً منطلقاً الى الاهرام لانها قبلة كل وافد على مصر وقد اشتقت ان اراها فاذهب بنا نصافح الدهور والاجيال الماضية بمصافحتها

فركبنا احدى مركبات الترامواي الى الاهرام ولم يكن فيها احد غيرنا . ولما استقر بنا المقام وتعرفت الى الاديب الاميركي وتعرّف اليّ التفت الى الشيخ وقلت له • حدثنا الآن ياشيخي ماذا رأيت في الشرق من جديد • وكم سنة قضيت في هجرتك له . وما تراه بين شؤونه وشؤون البلاد التي تركتها من الاختلاف والائتلاف

فقال الشيخ • يابني هجرت الشرق منذ خمس عشرة سنة . وقد عدت الآن اليه • فماذا اقول لك • في نفسي جثة ميتة اجرها وتجرني فلا اخلص منها ولا تخلص مني

فهنا استويت جالساً بعد ان كنت متكئاً على جدار المركبة • وقلت للشيخ رحماك لاتعد الى الرموز والالغاز • اتذكر ليلتنا الاخيرة في كوني آيلند على شاطىء الاتلانتيك

فضحك الشيخ وقال وهل الذنب ذنبي اذا كنت على الدوام لاتفهم كلامي • قد كان يقال لاحد شعراء العرب (لماذا لاتقول ما يُفهم) فكان يجيب (ولماذا لاتفهم ما يُقال).

واي كلام اوضح وافصح مما قلت . قلت (في نفسي جثة ميتة اجرّها وتجرّني فلا اخلص منها ولا تخلص مني) وهذا تعبير بليغ وكلام جزل و بيان واضح عند اللبيب البصير • ولكن لاتطمع في ان افسره لك اذا كنت لاتفهمه دون تفسير • ماذا ؟اتريد ان نقيم عليّ اهل البلد • بل اهل الكون بأسره • فافهم والا فلا تلم غير نفسك

فقلت ان المفهوم من عبارتك انه كان في نفسك شيء كنت تعتقد به — ولا اعلم هل هو ديني ام ادبي ام فلسفي ام سياسي ام اجتماعي — ثم نسخه من نفسك شيء آخر افضل منه . ولكن الشيء القديم بقي عالقاً بنفسك قابضاً عليها مع معرفتك خطأه . وتحاول التملص منه لتعمل بمعتقدك الجديد فلا تقدر — اهذا هو مرادك ؟

فنظر اليَّ الشيخ وقال حقاً انك لست بجاهل الى الحد الذي ظننته . ولكن ايها الذكي النبيه مادخل المعتقد هنا . وما لنا ولهذا الحرف الذي جرى به لساني . هي عبارة لامعنى لها يا بني فلا تعبأ بها وارقب رأس الهرم فانه سيظهر قريباً (وستأتي بقية احاديث الشيخ في اجزاء متتابعة)

حج سمو الخديوي

وسكة الحجاز الحديدية

حجَّ سمو الخديوي في الشهر الماضي وصرف في اراضي الحجاز عدة اسابيع . وقد استقبل سموه حكامُ الحجاز واعيانها بما يليق بمقامه الرفيع من الاجلال والاكرام . وودعه بقصيدة غراء جناب المفضال احمد بك شوقي شاعر الديوان الخديوي المشهور

فمنها قوله يخاطب رب البيت الحرام معتذراً عن السفر مع سمو الامير

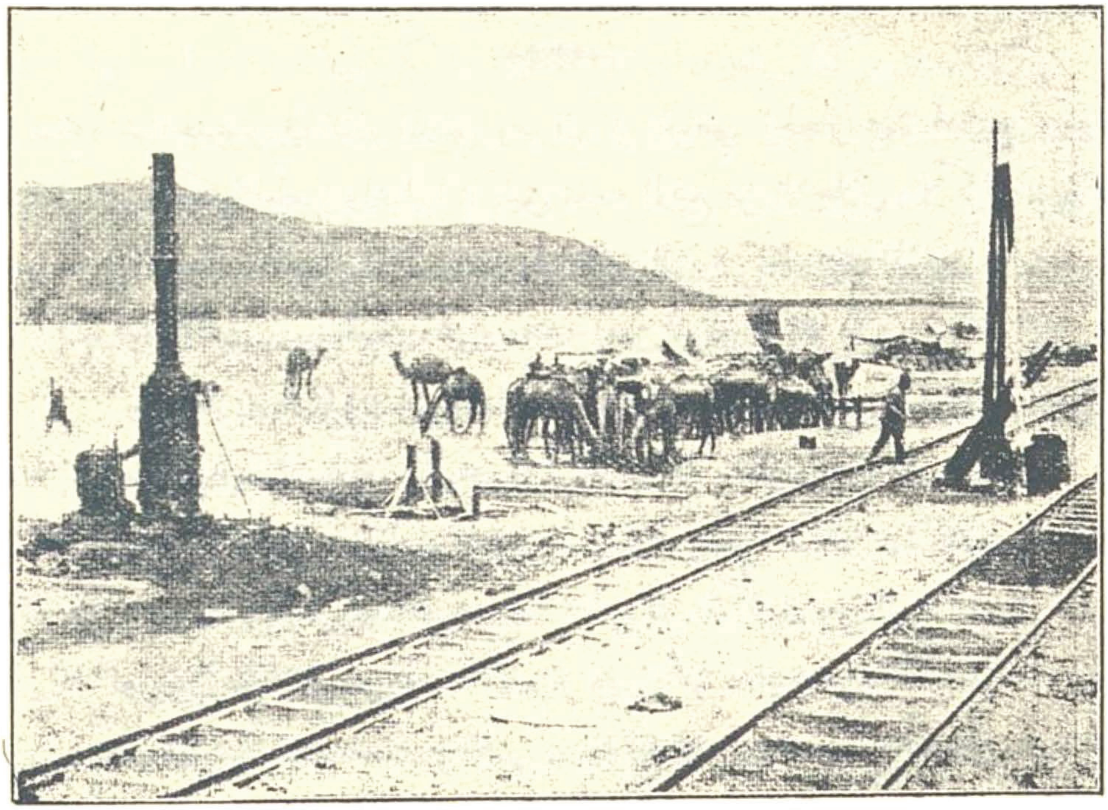
دعاني اليك الصالح (ابن محمد) فكان جوابي صالح الدعوات
وخيرني سيف سابح او نجيبة اليك فلم اختر سوى العبرات
وقدمت اعذاري وذلي وخشيتي وجئت بضعفي شافعاً وشكاتي
و يارب لو سخرت ناقة صالح لعبدك ما كانت من السلسات
و يارب هل تغني عن العبد حجة وفي العمر ما فيه من الهفوات
وتشهد ما آذيت نفساً ولم اضر ولم ابغ في جهري ولا خطواتي

الى ان قال وهو اجمل مافي القصيدة مخاطباً الجناب الخديوي قبل رحيله :

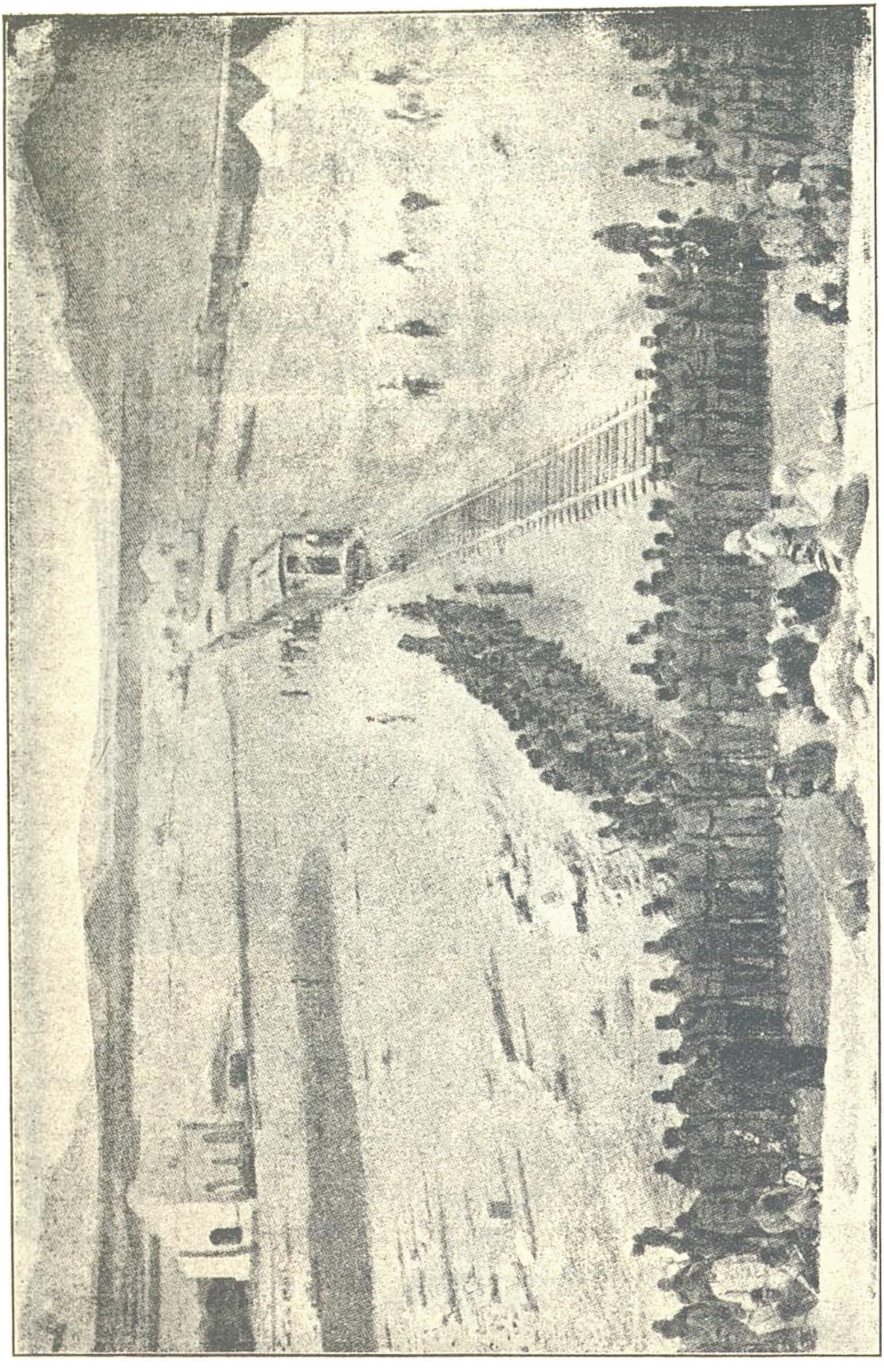
اذا زرت يا مولاي قبر محمد وقبلت مثوى الاعظم العطرات
وفاضت من الدمع العيون مهابة لاحمد بين الستر والحجرات

واشرق نور تحت كل ثنية وضاع اريج تحت كل حصاة
لمظهر دين الله فوق تنوفة وباني صروح المجد فوق فلاة
فقل لرسول الله يا خير مرسل ابثك ما تدري من الحسرات
شعوبك في شرق البلاد وغربها كاصحاب كهف في عميق سبات
وهذا زمان ارضه وسماؤه مجال لمقدام كبير حياة
فقل رب وفق للعظائم امتي وزين لها الافعال والعزمات

وقد كان لزيارة الجناب الخديوي اثر مفيد وهو تقرير انشاء ملجأ في السويس لفقراء الحجاج الذين تمسكهم الحاجة احياناً في السويس فينتظرون فيها زمناً طويلاً قبل ان يتمكنوا من العودة الى بلادهم · وصاحب هذه الفكرة الحسناء حضرة صاحب الدولة الامير حسين باشا كامل رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وكبير الاسرة الخديوية بعد الجناب الخديوي · وقد أُلفت لجنة لهذا الغرض برئاسة دولته وتبرعت صاحبة العصمة والدولة الحرم الخديوي بالف جنيه في الاكتتاب الذي أُنشيء لهذا المشروع وقد بلغ مجموعه



السكة الحديدية الحجازية في مرورها في صحراء الحجاز وحولها
ابل العرب وردت تشرب من مضخة المحطة



السكة الحديدية الحجازية في (المدينة المنورة) ـ الجند المصطف امام السكة يستعد للاحتفال بافتتاحها ـ والفرسان الستة الذين تراهم قادمين نحوهم في جانب الرسم لجنة الاحتفال التي اوفدت من الاستانة لهذا الافتتاح

حتى كتابة هذه السطور نحو ٢٥٠٠؟ جنيهاً

على انه قد يكون لزيارة الجناب الخديوي للحجاز اثر مفيد آخر بل آثار . منها ما نشرته بعض جرائد الاستانة ومصر من رغبة الجناب الخديوي في مشاهدة السكة الحديدية الحجازية لان سموه علم وهو في الاستانة على ماقيل بان الحكومة العثمانية تود لو توفق الى شركة (عثمانية) كبرى تستأجر ذلك الخط وتريحها من اثقال ادارته واستثماره . وقد نشرنا هنا رسم السكة الحديدية الحجازية في المدينة المنورة ورسماً آخر لها وهي مارة في الصحراء ورسماً ثالثاً يمثل لجنة الاحتفال بافتتاح السكة في رياق في العام السابق



لجنة الاحتفال بافتتاح السكة الحديدية الحجازية — الشخص الثاني عن يسارك جواد باشاو يليه المشير كاظم باشا ثم والي دمشق لذاك العهد لان هذا الاجتماع كان في رياق .وفي جهة اليمين في الطرف عبد الرحمن باشا

زاراتوسترا

وهو ابلغ كتب الفيلسوف نيتش الالماني واجملها

كتبه باسلوب رواية جعل بطلها (زارا توسترا) الهائل

﴿ منزلة زارا توسترا ﴾ شرعنا في الجزء السابق في تعريب هذا الكتاب وقد وقفنا على وصف له ورأينا من الفائدة نقله . قال المسيو هنري البير ان الحنق الذي اصاب نيتش



الفيلسوف فردريك نيتش

وقد نشرنا ترجمته وبسطنا فلسفته في جزء آخر

انما اصابه بعد كتابته زارا توسترا لعدم التفات العلماء اليه تعميداً . ومن اقواله في هذا الشأن (منذ كتابتي زارا توسترا اصبحت كوحش جُرح جرحاً لا يشفى) وقال في موضع آخر (ان السنين التي كتبتُ فيها زارا توسترا كانت سني عذاب لي لا مثيل له . ولقد دفعت ثمناً عظيماً لهذا الخلود) ثم قال في موضع آخر ويرى القارىء في كلامه انه يتكلم عن كتابه دون حذر ولا اتضاع .ذلك لانه كان في آخر عمره محساً بدنو اجله :

(ذلك الكتاب في عزلة عن جميع الكتب . واذا جعلنا مقارنة بينه و بين سائر اعمال البشر وجدناها جميعها دونه . ان جوت وشكسبير لا يستطيعان ان يستنشقا هنيهة هواء ذلك الجوّ الذي يعيش فيه زارا توسترا لان اهواءه شديدة وارتفاعه ارتفاعاً متناهياً يُحدث الدوار . ودانتي ليس بالقياس على زارا توسترا الا مؤمناً وليس هو برجل يخلق او يقرر الحقيقة او عقل (يسود على الدنيا) او قضاء وقدر لا بد من نزوله كما هو شأن زارا توسترا . وما شعراء الفيدا الا كهان ليسوا باهل لان يحلوا سيور حذاء زارا توسترا . وتجتمع قوى جميع النفوس العالية وتكتب فهي عاجزة من ان تأتي بخطبة كاحدى خطب زارا توسترا. لقد خطا زارا توسترا الى الامام واوغل في السير فوصل الى حيث لم يصل رجل في العالم قبله . وان جميع فضائل الطبيعة البشرية ورذائلها تجري من فمه جرياناً خالداً . ولم تكن قبله معروفة ماهية الحقيقة وما هو سمو الفكر وعمقه . وقبل زارا توسترا لم توجد حكمة حقيقية ولا مباحث في النفس ولا صناعة الكتابة والخطابة . وما هو حقير مبتذل يصبح في فمه غريباً عجيباً . وان الاحكام التي يحكم بها ترتعد بذاتها هوًى وشدة . و بلاغته تفعل فعل الموسيقى . وصواعقه تنقضّ نحو مستقبل لم يفطن اليه احد بعد)

ونعود الآن الى اتمام تعريب الكتاب

٣

«ولما بلغ زارا توسترا المدينة القريبة من الحرش وجد الشعب مجتمعاً في الساحة العمومية ذلك لانهم سمعوا بان لاعباً على الحبل سيلعب في تلك الساحة . فوقف زارا توسترا وخاطب الشعب قائلاً

— جئتُ اعلّمكم ما هو فوق الانسان Surhumain ان الانسان كائن يجب ان يتغلب على نفسه ويترقى ليكون (فوق الانسان) فماذا فعلتم في هذا السبيل

ان جميع الكائنات قد انتجت حتى الآن شيئاً منها ممتازاً عنها وهو (فوقها). وانتم لم تنتجوا شيئاً فوقكم بل تودون الرجوع الى الحيوانية بدل الصعود نحو الانسانية الحقيقية

ان الانسان يهزأ بالقرد . والانسان الحاضر انما هو في منزلة القرد بالقياس على الانسان الحقيقي الذي يجب ان يكون (فوق الانسان)

لقد اجتزتم الطريق من الدودة الى البشرية . ولكنه بقي فيكم شيء كثير من آثار الدود . لقد كنتم قردة من قبل وانتم الآن اشد قردية من القردة

فانا الآن اعلمكم ما هو (فوق الانسان) وهو (حاسة الارض)

فالتمس اليكم يا اخواني ان (تكونوا امناء للارض) . لا تصدقوا اولئك الذين يمنونكم بامان غير ارضية . ان هؤلاء يسممونكم وهم لا يدرون او يدرون

ان هؤلاء من هادمي الحياة والمرضى والذين هم انفسهم مسمومون . بل هم ممن تعبت الارض منهم. فليذهبوا عنا

لقد مات المجدفون على الله اذ لم تبق حاجة الى هذا التجديف . وليس الآن اشد هولاً من التجديف على الارض واعتبار ان احترام المبدأ المجهول مقدم على احترامها

لقد كانت النفس من قبل تحتقر البدن وتريده ضعيفاً مشوهاً مجوعاً لظنها انها بذلك تتفلت من حس الارض . ولكن هذه النفس نفسها كانت ضعيفة مشوهة مجوعة . واخبروني الآن يا اخواني كيف هي نفسكم . اليست قذارة وضعفاً ونخراً بالذات

ولما نطق زارا توسترا بهذا الكلام صرخ احد الحاضرين (كفانا نسمع كلاماً عن اللاعب على الحبل ونريد الآن ان نراه يلعب) ثم اخذ الشعب يضحك من زارا توسترا . ولكن اللاعب على الحبل ظن انهم يدعونه فاستعد للعب

٤

اما زارا توسترا فنظر الى الشعب مدهوشاً ثم قال : ان الانسان حبل ممدود بين الحيوان والانسان الذي هو (فوق الانسان) . هو حبل ممدود فوق الهاوية

ومن الخطر اجتياز الحبل الى الطرف الآخر كما انه من الخطر الوقوف في منتصف الطريق ومن الخطر النظر الى الوراء

والامر العظيم في الانسان هو كونه (جسراً) لاغاية . وما يمكن ان يُحب في الانسان هو كونه (معبراً)

وانني احب من لا يحسن المعيشة فيفنى . ذلك لانه يجتاز المعبر بسهولة

٥

ثم سكت زاراتوسترا ونظر الى الشعب . وبعد ذلك اخذ يخاطب نفسه قائلاً : أراهم

يضحكون فهم لايفهمون كلامي · وان فمي لم يخلق لهذه الآذان

لديهم شيء يفخرون به و يدعونه (مدنية) ذلك لانه يميزهم عن الماشية. ولهذا يكرهون استماع كلمة الاحتقار · فعليَّ اذاً ان اخاطب كبرياءهم لعلي استميلهم . فلنخاطبهم في شأن (الانسان الاخير) الذي هو اولى بالاحتقار من كل من عداه (١) ثم طفق يخاطب الشعب قائلاً

— لقد آن للانسان ان يوجد لنفسه غاية · ويغرس امامه شجرة آماله

وانا اقول لكم · يجب ان يكون داخل الانسان فوضى ليستطيع ان يخرج نجماً ساطعاً للعالم · وفي احشائكم فوضى لامحالة

ولكن يا للويل ستدنو الساعة التي لا يستطيع فيها الانسان ان يخرج نجماً للعالم · يا للويل قد دنت ساعة ذاك الذي هو احق الناس بالاحتقار وادعوه (الانسان الاخير)

فتصبح الارض حينئذ صغيرة ويرقص عليها الانسان الاخير الذي يصغر كل شيء · ونسله لاينقرض لانه كثير كالهوام · وهو اطول الكائنات اعماراً

يقول رجال الانسان الاخير انهم (اوجدوا السعادة) ويغمزون بعيونهم . وهم ما زالوا يعملون لان العمل تسلية ولكنهم يحرصون على ملاهيهم · يقولون لافقير ولا غني · والفقر والغنى امران صعبان . ومن يرضى بان يكون حاكماً والحالة هذه ام من يرضى ان يكون محكوماً مطيعاً ؟ الحكومة والطاعة امران صعبان

يقولون لاراعي ولا خراف بل الجميع متساوون وكلهم يطلبون شيئاً واحداً . ومن كان لا يعتقد اعتقادهم يذهب من تلقاء نفسه الى مستشفى المجاذيب · وهم يقولون : قد كان جميع الناس من قبل مجاذيب · ونحن اخترعنا السعادة (٢)

وهنا انتهت اولى خطب زاراتوسترا وهي الخطبة التي يصح ان تُدعى (تمهيداً) . وما اتى عليها زاراتوسترا حتى ارتفع صياح الشعب قائلين (اجعلنا من رجال الانسان الاخير زاراتوسترا واعفنا من الانسان الذي هو فوق الانسان) وكانوا جميعاً يصرخون هذا الصراخ · فحزن زاراتوسترا وقال في نفسه — انهم لايفهمون كلامي وفمي لم يخلق لهذه

---

(١) نرجح انه يعني بالانسان الاخير (المبداء الاشتراكي الذي هو آخر المبادىء التي سادت بين العملة في العالم

(٢) لنيتش حملات شديدة في عدة من كتبه على الاشتراكية والاشتراكيين · ولذلك قالت جريدة الدبا ان رد الفعل الذي حصل في اوربا في شأن الاشتراكية انما سببه مبادىء نيتش

الآذان . ولقد عشت زمناً طويلاً في الجبال وتعودت الاصغاء الى الجداول والاشجار ونسمات المساء . ولكنني لم اتعود مخاطبة قطيع الماعز

٦

وهنا حدث حادث اسكت الجميع . ذلك لان اللاعبين على الحبل تهيأوا للعب . فخرج احدهم من نافذة واخذ يسير على الحبل المنصوب فوق رؤوس الناس في الساحة العمومية وبين يديه عمود للموازنة . ولما بلغ منتصف الحبل فتحت تلك النافذة ثانية وخرج منها شاب ذو هيئة مضحكة فاقتفى اثر الرجل الاول على الحبل ولما كاد يدركه صاح به (سر ايها الاعرج الكسول . حد من طريقي والا داعبتك بقدمي . ماتفعل هنا . سر ولا تقف في طريق من هو افضل منك)

ولما اتم كلامه كان قد اصبح عند الرجل الذي تقدمه . فحدث حينئذ حادث هائل وهو ان الرجل الثاني صاح صيحة شيطانية ووثب عن الحبل فوق الرجل الاول الذي كان يعترضه في طريقه فجاوزه وجاء واقفاً على الحبل في الجهة الاخرى . ولكن الرجل الاول كان قد فقد رشده لهذه الوثبة وفقد عمود الموازنة فهوى مع العمود من الحبل الى الارض وكان الناس في الساحة كالبحر العجاج فلما رأوا سقوط الرجل عليهم ذعروا وفروا في الجهات الاربع

على ان زاراتوسترا لم يبرح مكانه . وقد كان سقوط الرجل بجانبه . وكان جسم الرجل قد تحطم عند اصابته الارض . فبعد حين ثاب اليه رشده فوجد زاراتوسترا جاثياً بجانبه فقال له (ماتفعل هنا . انني كنت عالماً منذ زمن بان ابليس سيزحلقني . فقد تم له ما اراد وهو الان سيجرني الى جهنم . هل في امكانك منعه)

فقال زارا توسترا (اقسم لك بشرفي انه لا ابليس ولا جهنم . فلا تخف شيئاً)

فرفع الرجل رأسه وقال اذا كان حقاً ما تقول فانني لا اخشى شيئاً ولا اخسر شيئاً اذا خسرت الحياة . لانني ما كنت فيها الا حيواناً يجعلونه يرقص بالضرب وبشيء من الغذاء

فقال زارا توسترا (كلا . بل انت ذو فضل لانك جعلت الخطر مهنة لك ولا شيء يستأهل الاحتقار . وقد اهلكتك مهنتك ولذلك سأدفنك بيدي) (١)

---

(١) كل هذه التفاصيل رموز خفية . فالمقصود باللاعب على الحبل وفي يده عمود الموازنة الفلاسفة والعلماء الذين تقدموا نييتش وكانوا في ما يكتبونه يشبهون الماشي على الحبل اذ يجعلون ديدنهم الحذر والرغبة في الموازنة لئلا يصدموا المبادىء او يسيئوا الى احد. حتى جاء نييتش ووثب فوقهم جميعاً فسقطوا لدى المستقبل في رأيه

عجائب اميركا الطبيعية

اربع تحف اميركية
لا مثيل لها في الدنيا

وهي اعظم واعجب من شلالات نياغرا ولكن
هذه أشهر منها لدى الشرقيين

طريقة الExcursion الاميركية

اشتهرت شلالات نياغرا لدى الشرقيين والأوروبيين اشتهاراً عظيماً · ولكن في الولايات المتحدة الاميركية ما هو أعظم منها وأعجب ·وقد جمعنا في هذا الفصل اربع تحف طبيعية اميركية لا مثيل لها في الدنيا وهي مشهورة لدى العارفين من الاوروبيين والاميركيين اشتهار شلالات نياغرا عندنا

❋ وادي الدب الرمادي ❋ التحفة الاولى (وادي الدب الرمادي الاكبر) (yosemite valley) وهو اعجب عجائب اميركا واجمل آثارها · ينبسط هذا الوادي في (الجبال الصخرية) في ولاية كاليفورنيا · وطوله ١٢ كيلومتراً وعرضه من ثمانمائة متر الى ثلاثة الاف متر · وفيه شلال يُدعى (شلال الدب) ارتفاعه سبعمائة وخمسون متراً فهو اعلى شلال في الدنيا · وما ارتفاع شلالات نياغرا الا ٤٥ متراً الى ٤٨ متراً · وعلى مقربة منه الاشجار الكبرى المشهورة بان عمرها من الفي الى ثلاثة آلاف سنة · ووراء هذه الاشجار مستوى قعر الوادي وهو ممتلئ بالينابيع المتعددة التى تنبع من كل جهة · ورؤوس جبال الصوان تحيط به وعلو بعضها عن الوادي من ٩٠٠ الى ١٥٠٠ متر وعلو الوادي عن سطح البحر ١٥٠٠ متر · والوادي مكسو بالثلج على الدوام الا في بعض الأشهر فاذا اجتمع فيه بياض الثلج ونور الشمس وخضرة الشجر ودقائق الماء المنتشرة من الجداول المتعددة الجارية فيه خيل الى زائره انه في جنة عدن · وزائروه يعدون بالالوف وعشرات الالوف في كل عام

(مغارة المموث) التحفة الثانية (مغارة المموث) في ولاية كنتكي . وهي اوسع مغارة في الدنيا . في داخلها دهاليز وقاعات وممماشٍ ومتنزهات منارة بالنور الكهربائي ووهاد واودية و بحيرات . ومن جملة اماكنها المشهورة : البئر التي لا عمق لها . والبحر الميت وغرفة النجوم . والتيه . والشارع الغوطي . وقاعة الجداول الخ . وجميع مزارات المغارة منظمة واوصافها مطبوعة في رسائل توزع على الزائرين . ولم يُكتشف من هذه المغارة العجيبة سوى جانب منها . وطول الدهاليز والماشي التي اكتشفت حتى الان نحو ٣٠٠ كيلومتر .

(حديقة يلوستون الوطنية) التحفة الثالثة حديقة يلوستون yellowstone الوطنية القائمة في الشمال الغربي من ولاية يومنغ . وارتفاع هذه الحديقة عن سطح البحر ٢٥٠٠ متر وهي حديقة طبيعية لا صناعية تنبسط بين اكام كالاتين ورؤوس جبال ابسارا كا . فيها بحيرات وجداول وينابيع مياه حارة واودية وا كام . وفيها بحيرة كبرى مساحتها وحدها ٣٠٠ كيلومتر مربع . ولكن الامر الذي تمتاز به عن غيرها اضطراب باطن الارض فيها على الدوام . فانك اذا سرت فيها وجدت هنا الجداول تجري بماء حار والبخار يتصاعد عنها وهناك الينابيع تغلي غلياناً وفي مكان اخر يصفر البخار منبعثاً من الارض كان تحته في جوف الارض معملاً بخاريّاً . والمياه المعدنية تجري من كل جانب . والارض تحت قدميك تهتز في بعض الاحيان فيخيل اليك انها تكاد تنشق وتزلزل زلزالها

(البحيرات) والتحفة الرابعة البحيرات الخمس المنبسطة بين كندا والولايات المتحدة وهي بحيرات : مشيغن . وانتار يو . والبحيرة العليا . وهورون . واري . وهي متصلة بعضها ببعض بانهار او بمياهها نفسها . ومساحة هذه البحيرات ٣٠٠ الف كيلومتر مربع . وعمق بعضها ٣٠٠ متر وتهب فيها العواصف كالابحر فترغي امواجها وتزبد

واذا اضفت الى هذه التحف الاربع شلالات نياغرا علمت اعظم اثار اميركا الطبيعية . والحكومة واصحاب المصالح وشركات السكك الحديدية لا يألون جهداً في اجتذاب الزائرين الى تلك الاماكن وغيرها لزيارتها وانفاق المال فيها . فينشرون اخبارها ورسومها واسماء كبار الوافدين عليها تشويقاً لغيرهم . وادارة السكك الحديدية تعين اياماً خصوصية شهراً بعد شهر تنقص فيها اجرة السفر اليها ذهاباً واياباً الى نصف الاجرة الاعتيادية . وتسفر في تلك الايام عدة قطارات خصوصية اليها تحمل مئات والوفاً من الزائرين . وهذه (النزهات) الخصوصية Excursion مألوفة في جميع انحاء اميركا والاميركيون شديدو الاقبال عليها . والشركات تربح منها ربحاً وافراً والبلد القليلة السكان وفيها المتنزهات والاثار

الجميلة تربح ايضاً ربحاً عظيماً من توافد الوف الناس عليها . وهؤلاء الناس يربحون ايضاً صحة وعافية ومعرفة ورياضة وتفرغاً بضعة ايام من اشغالهم اليومية

امر يهم الشرق كله لا مصر وحدها

مستقبل

العامل والفلاح في مصر

اى تسعة اعشار الامة

شيء جديد في خطبة

لا تتعرض المجلات (للسياسة البحتة) كما قلنا في صدر هذا الجزء . ففي مباحث الجرائد الكبرى غنىً عن مباحث المجلات في هذا الشأن . ولكنه اذا بدا موضوع جديد أو امر خطير لاصق بالمباحث التي اعتادتها المجلات فيحسن بها ان تشير اليه

لا يخفى ماعليه حالة العملة والفلاحين في مصر وهم تسعة اعشار الامة المصرية تقريباً . فرب عامل اجرته في اليوم الواحد فرنك واحد (اربعة غروش) او اقل في حين ان اقل اجرة للعامل في اميركا ريال في النهار . والفلاح في مصر يفني عامه تعباً في زراعة ارضه ولا يبقى له من دخلها الا الذرة يعيش منها هو وعيلته . واصل هذا البلاء امران . الاول جهل الفلاح بطرق الكسب وزيادتها وبحفظ المال المكتسب واستثماره والدفاع عنه . والثاني قوة الذين يعاملون الفلاح والعامل ودهاؤهم يساعده اضطرارهما الى الرضى بما يفترضونه ويرسمونه . وهذه حال لا زوال لها الا بجمعيات يؤلفها اصحاب كل حرفة من الحرف وكل فريق من العملة لتفهيمهم الطرق التي يصونون بها نفوسهم والدفاع عن حقوقهم ليس بازاء الهيئة الحاكمة فقط بل بازاء مستخدميهم ومستأجريهم ومبتزيهم شأن العملة في اوروبا واميركا . والعقبة الكبرى التي في طريق هذه الجمعيات امران . الاول عدم فهم الشعب نفسه اهميتها وتعذر اتحاده وتضامنه فيها لاننا لم نبلغ طور التضامن بعد . والثاني استحالة قيام هذه الجمعيات وانتشارها وتعاظمها ان لم يتولَّ قيادة العملة والفلاحين زعماء من اهل

النفوذ والرأي والمعرفة ينظمونهم ويدربونهم كما يفعل زعماء العملة في اوربا الذين منهم الآن في انكلترا المستر كير هردي والمستر لويد جورج وزير المالية واصله عامل من العملة والمسيو جوريس في فرنسا والمسيو بيل في المانيا والمستر براين في الولايات المتحدة الخ

ويظهر من خطبة جناب رئيس الحزب الوطني المصري عزتلو محمد بك فريد في المؤتمر الاخير ان هذا الحزب بدأ يفكر في هذه المسألة الكبرى · واذا اخرجها من حيز القوة الى حيز الفعل كما قال حضرته في خطبته فان انقلاباً جديداً في مصر على الابواب . وسلطة جديدة آخذة في التكون والبروز الى ميدان الحياة المصرية . وعلى الحكومة المصرية ان تحسب حينئذ حساباً عظيماً لتلك القوات الجديدة الاخذة في التكون

ومما قاله حضرة الخطيب في خطبته (ان الفلاح المصري يدفع اكبر جزء من الميزانية المصرية بينما اصحاب المصارف والتجار اصحاب الاموال المنقولة لا يدفعون شيئاً) ومقتضى هذا الكلام وضع الضريبة على الدخل التي طعنها السيد حسن موسى العقاد في احدى رسائله في الشهر الماضي طعنة دامية قبل ان يجري البحث فيها . كأنها غول يخشاه اهل المال فاذا تنسموا ريحه من بعيد هبوا لمقاومته قبل وصوله

ومن اقوال حضرة الخطيب ايضاً (ان الفلاح المصري اتعس فلاح في العالم ولا خلاص له من هذه الحالة الا بنشر التعليم الابتدائي وجعله اجبارياً وتشكيل نقابات خصوصية للدفاع عن حقوقه امام الحكومة وامام الملاك الذين يزيدون عليه الاجارات بمناسبة وبغير مناسبة وامام المرابين الذين يأخذون منه ما يبقى له» وايضاً (العمال في بلادنا مهملون كالفلاح فلا قانون يلزم المقاول بدفع تعويض لمن يموت شهيد عمله او يقطع احد اعضائه فيصبح عديم الكسب · ومن الامثال العامية (ان الفاعل ديته أجرته) ولا الحكومة تفكر في الدفاع عنه — نقابات العمال قوة تخضع لها الحكومات وتطأطئ رأسها امامها — بفضل مجهودات هذه النقابات وضعت قوانين في انكلترا وفرنسا والمانيا تضمن لكل عامل في الصناعة او في الفلاحة معاشاً سنوياً متى بلغ سناً معلومة ولم يكن لديه ما يسد الرمق ويمنعه من التكفف — ولا سبيل لايجاد هذه الحركة المباركة في مصر حتى يصبح الصانع والزارع في مأمن من الفقر والتكفف عند الشيخوخة او المرض او لتحسين حالته المعاشية الا بالاكثار من فتح المدارس الليلية في المدن والقرى لتعليمهم حقوقهم وواجباتهم وتفهيمهم اهمية النقابات وشركات التعاون) الخ ثم قال حضرة الخطيب ان الحزب الوطني قد شرع في تنفيذ هذه الفكرة

فهذا موضوع خطير اذا عمَّ مصر نقل طبقاتها الضعيفة من حال الى حال ودخلت هذه الطبقات بجمعياتها الى ميدان السلطة وصار لها كلمة نافذة وبدأ في مصر النزاع بين (الطبقات) طبقة المأجورين وطبقة المستأجرين . وهذا النزاع موجود الآن بين النزلاء الاجانب ولكنه ضعيف

الا ان الامر الجدير بالاعتبار هو هل يستطيع الذين يتولون قيادة هذه الحركة الاجتماعية اياً كانوا ان يجروا على خطتها الطبيعية المألوفة عند جميع الامم ولا تسوءهم في منتصف هذه التجربة النتائج التي تنتج عنها كقيام نزاع شديد بين اهل المال واهل العمل لاسبيل الى ازالته وقيام افراد متعجلين يمنون الشعب اماني يستحيل انفاذها فيستأسرون امياله ويجتذبونه اليهم وظهور المبادىء الاشتراكية حينئذ في مصر بمظهرها الواضح الفعال . وغني عن البيان اننا اذا القينا هذا السؤال فانما نلقيه على جمهور اهل المال واصحاب الاملاك لا على العملة والفلاحين لان نتيجة هذه الحركة الاجتماعية تكون على الدوام في مصلحة العملة والفلاحين. واذا كان قد اصبح موجوداً في مصر فريق من اهل الرأي واصحاب الاموال والاملاك يروقه احداث حركة اجتماعية مفيدة لسواد الشعب كهذه الحركة وان اضرتهم هم في بعض مصالحهم فذلك دليل على ارتقاء حقيقي . ويكون حينئذ شأنهم شأن رجال الثورة الفرنسوية الاولى الذين حرروا الفلاح والعامل في بدء الثورة ثم استمر ابناء الفلاح والعامل يتضامون و يتضامنون حتى ازهقوا نفوس ابناء الساسة الذين حرروهم وخلفاءهم بجمعياتهم التي كادت تصبح صاحبة سلطة فعلية على الحكومة الجمهورية نفسها . واننا كلما سمعنا في (الجريدة) الغراء صوت مديرها الذي مع كونه من طبقة اعيان مصر واصحاب الاملاك فيها (فضلاً عن مقامه الشخصي الذي بلغ اليه بعلمه وفضله) يصرخ في انحاء القطر صرخاته المعروفة حتى ضد الطبقة التي حضرته احد افاضلها يخيل الينا اننا نسمع اصوات اولئك الرجال الذين قلبوا الامة الفرنسوية من حال الى حال . واذا كان ظهور مثل هذه الاصوات في مصر دليلاً على قرب بلوغ الفلاح المصري والعامل المصري — اي تسعة اعشار مصر — شيئاً من صلاح الحال ورفعة الشأن بعد ماتحملاه من البلايا والرزايا منذ عهد الفراعنة الاولين حتى اليوم — فحبذا هي وحبذا السعي في هذا السبيل

هذا موضوع لايهم مصر وحدها بل يهم الشرق باسره والعثمانيين في مقدمته . وهذه مسألة حسابية في منتهى البساطة فانه اذا كان تسعة اعشار الامة مهملة ضعيفة لاموازنة بين دخلها وخرجها ولا قوة لها على تدبير شؤونها تبق الامة ضعيفة قاصرة ولا يغني عنها

ارتقاء عشر او نصف عشر منها . بل ان الاعشار التسعة المهملة الضعيفة تعدي العشر الذي ارتقى اذا استمرت على اهمالها وضعفها وتمادت فيهما . وبهذه العدوى تجره وتدليه اليها بدل ان ترتفع اليه . ولذلك لانرى شيئاً ادعى الى العجب والدهشة من الاراء السائدة بيننا في شأن العملة والفلاحين والطبقات الضعيفة . فان هذه الطبقات اذا قامت بمظاهرة او ورد ذكرها في شأن يقال عنها انها غوغاء لاعقل لها ولا يعتد برأيها . وهذا ناشيء عن افكارنا الجبروتية القديمة التي كانت لضعفها وذلنا تؤله الاعيان والحكام وكل من يُرجى نفعه او يخشى ضره وتعد عامة الشعب انعاماً سائمة . ونحن لقصر نظرنا لا نرى ان هؤلاء العامة هم جمهور الامة فاذا ارتقوا ارتقينا بارتقائهم وكنا امة راقية واذا انحطوا انحططنا معهم وكنا امة منحطة

واقد يُعتد في هذه المسألة بقول نيتش القائل : ان الشعب قطيع من المواشي لا يعتد برأيه ويجب حكمه بالقوة والجبروت وان مبادىء الثورة الفرنسوية والاديان التي اقرت المساواة والاخاء والحرية مبادىء افسدت العالم واخرجته عن طريقه القويمة . ولكن لا ننسين ان نيتش يقول هذا القول في امم منظمة راقية طبقاتها العليا والمتوسطة قوية كثيرة العدد متسلطة على الطبقات الضعيفة بالطرق السياسية والصناعية والتجارية والاختراعات الحديثة فهي تعديها من ارتقائها ولا تُعدى هي من انحطاطها ولذلك ترفعها اليها شيئاً فشيئاً. وليست المسألة عندنا مسألة فلسفية علينا البحث في مبادئها واصولها لتقرير حق كل طبقة وطريقة حكمها تقريراً فلسفياً وانما المسألة مسألة انهاض تسعة اعشار امة . اي امة كاملة تقريباً يكاد لايكون لها ارستوقراتية سياسية او اجتماعية او علمية (كالارستوقراتية المقصودة في كلام المتكلمين في هذا الشأن) تحكم الامة وتنظمها وتحمل عنها صدمات العمران والارتقاء وتتولى قيادتها في عقبات الحياة. وسنعود الى هذا الموضوع في الجزء التالي لنبسط وجوهاً جديدة لهذه المسألة ونقارنها باحوال الامم الاوروبية والاميركية

الصحة والمنزل والعيلة

خطر اكل الاثمار

دون غسلها غسلاً كافياً

﴿ تجارب عالمين ﴾ عرض الدكتور فيلاسيه والدكتور سار الفرنسويان على المجمع الطبي في باريز نتيجة تجار بهما فيما يختص بالاثمار التي تؤكل دون طبخ وتباع في الشوارع سواء كان بيعها في المخازن او في اطباق يسار بها بين المنازل . فقد اخذا عنا قيد عنب من احد المخازن وغسلاها بماء معقم ثم فحصا الماء فوجدا في كل سنتيمتر مكعب منه ٥٧٥ الف اجرثومة من جراثيم وميكروبات مختلفة ٠ واخذا قبضة من الفريز وغسلاها بماء معقم وفحصا الماء بعد غسلها فوجدا في كل سنتيمتر مكعب منه مليوناً و٨٥٠ الف جرثومة من جراثيم وميكروبات مختلفة . وفي الغسلة الثانية بقي في السنتيمتر المكعب ٧٤الف جرثومةوفي الغسلة الثالثة نقصت الى ١٨ الف جرثومة

وقد طلبا في تقريرهما الى المجمع الطبي ان يسعى المجمع لدى الحكومة وأولي الامر لحملهم على وضع نظام جديد يوجب على بائعي الاثمار غسلها بطريقة علمية فعالة قبل عرضها للبيع والنتيجة التي تخرج من هذا الموضوع وجوب غسل الاثمار التي تؤكل دون طبخ غسلاً دقيقاً غير مرة

﴿ الجزء الاول ﴾ بفضل اقبال القراء على الجامعة بعد عودتها الى الشرق نفدت نسخ الجزء الاول مع طبعنا منها مئات نسخ فوق ما كان يطبع منها عادة ولذلك نرجو من كل من يستغني عن الجزء الاول ان يبعث به الينا فنرسل اليه ثمنه او رواية بدلاً منه كالكوخ الهندي او اتالا ٠ ونعيد هنا شكرنا للافاضل والادباء الذين اقبلوا على الجامعة والذين سعوا في مساعدتها لدى اخوانهم واصدقائهم جزاهم الله خيراً

مطبوعات جديدة

المقتبس

بعد ايقاف جريدة المقتبس في دمشق الشام للتهمة التي وجهت الى صاحبها جناب الرصيف محمد افندي كرد علي اصدر شقيقه جناب احمد افندي كرد علي جريدة تقوم مقام المقتبس ودعاها (الامة) فنرجو للرصيفة النجاح. ويسرنا ما نشرته من تبرءة الاستانة ساحة رصيفنا صاحب لمقتبس ولم يكن سرورنا بذلك اقل من استغرابنا تلك التهمة من قبل مع ما هو معروف عن اخلاق صاحب المقتبس ومبادئه. ولا ريب ان كل ماجرى نتيجة جهل العثمانيين بعضهم ببعض. ولو كان ادباء الاستانة مثلاً مطلعين على ما يُنشر باللغة العربية وادباء العربية مطلعين على ما يُنشر باللغة التركية لما كان سبيل الى سوء فهم او وشاية او خطاء كالذي وقع . ونعدّ من سوء حظ العثمانيين ان لا يحدث تداخل وامتزاج في افكارهم وآرائهم بسبب اختلاف لغاتهم . ولو انصفت الاستانة لعوّضت على صاحب المقتبس شيئاً من الخسائر التي وقع فيها بسبب تلك التهمة . ولو كان في اميركا مثلاً ووقع له ما وقع لما اكتفت المحاكم بعشرة آلاف ريال تحكم بها له على الحكومة جزاء ايقافها جريدته وسجنه وتعطيلها اشغاله . ونحن على ثقة من ان هذه الحادثة لا تغير ما في نفس رصيفنا صاحب المقتبس من الميل للدستور والحكومة الدستورية فالحرية وصيانتها والدستور والسهر عليه لا بدّ لها من ضحايا وحسبنا في بدء الحكومة الدستورية التي في طريقها عثرات ليس في طريق حكومة غيره في العالم كله انها اصبحت تعرف خطأها حين وقوعها في الخطاء وتعترف به . وهذه خطوة بعيدة في سبيل الاصلاح المطلوب . ولكن أحسن منه ولا شك ان لا يقع خطأ ولا يقع اعتراف به . وهذا من ضروب الكمال وكلنا يعلم اننا مازلنا بعيدين عن طور الكمال. فضلاً عن ان حوادث كهذه الحادثة قد تقع لارقى الحكومات الراقية التي انقضت عليها مئات من السنين وهي سائرة في سبيل الدستور والحرية

كتاب العناية بالاطفال

اعاد جناب الدكتور اسكندر بك الجربديني طبع كتابه المفيد (العناية بالاطفال)

وقد نقحه وزاد فيه فوائد عديدة فجاء في ٤٥٠ صفحة وهو يحتوي على ٦٣ رسماً والكتاب كما قال فيه واضع مقدمته جناب مصطفى افندي صادق الرافعي جدير بان يكون في كل بيت فتحث كل ام على اقتنائه ومطالعته وهو يطلب من جناب مؤلفه في طنطا . وليس يحسن بالامهات والآباء ان يكون في اللغة العربية كتب كهذا الكتاب ولا يعتمدون عليها

جريدة الاتحاد المصري

في عامها الثلاثين

اصدرت رصيفتنا جريدة الاتحاد المصري الغراء في بدء السنة الجديدة عدداً خصوصياً تذكاراً لدخولها في السنة الثلاثين من عمرها . وقد زينت هذا العدد بكثير من رسوم ادباء مصر ورجال الغرب والشرق ونشرت فيه فصولاً ومقالات جميلة مفيدة نخص منها بالذكر مقالة موضوعها تأريخ الصحافة المصرية في ثلاثين عاماً للكاتب الظريف الفاضل نجيب افندي غرغور بسط فيها احوال الصحافة في مصر منذ انشاء جريدة الاهرام الغراء الى اليوم وكان حضرته من جملة الذين استمروا على الكتابة منذ ذلك التأريخ الى هذا العهد وان كان لا يتخذ الكتابة حرفة . وقد اعلن جناب صاحب الاتحاد في هذا العدد انه عاد الى ادارة جريدته بعد المرض الطويل الذي طرأ عليه فنهنئه خالص التهنئة وندعو لحضرته بتمام الشفاء ليستمر في خدمة قرائه بالاعتدال والتزام السبيل القويم والجرأة التي عُرفت بها جريدته بهمته وهمة الرصيف (الثلاثيني) الذي تقدمت الاشارة الى حضرته

حديقة الفكاهات

ظهر الجزء الواحد والعشرون من السنة الثانية (لحديقة الفكاهات) وهي المجلة الروائية الفكاهية التي يصدرها في الشهر مرتين جناب ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية في مصر وهذه الرواية حلقة من سلسلة روايات (نقولا كارتر بوليس اميركا السري) التي اقبل محبو الروايات على قراءتها واصبحت مشهورة لديهم شهرة روكامبول وشرلوك هلمز . وثمن كل رواية غرشان وتطلب من المكتبة الشرقية في كلوت بك

اما معربها فهو جناب الاديب محمود افندي صادق سيف

مملكة جهنم

ورأي تولستوي في اصلاح البشر

هي رواية وضعها الفيلسوف تولستوي وعربها جناب الاديب سليم افندي قبعين وقد

عربها ايضاً منذ سنتين جناب الاديب قسطنطين افندي ملحم من ادباء اسكلة طرابلس الشام ونشرها في جريدة الجامعة في نيو يورك ولكنها لم تُجمع على حدة ٠وموضوع الرواية انه لما جاء المسيح ذُعر الابالسة وانهدمت سلطتهم فراحوا كسيفي البال متأملين٠ولكن لما قام رجال الدين واختلفوا وانشاءوا المذاهب المتعددة واخرجوا الدين المسيحي عن وضعه الاول فرح الابالسة واستردوا سلطتهم واعادوا مملكتهم ولذلك جعل تولستوي عنوان روايته (اعادة مملكة جهنم) كما ذكر ذلك حضرة المعرب باللغة الفرنسوية في غلاف الرواية. ولكن اذا كان تولستوي يظن ان اصلاح العالم يكون بالعودة الى مبادىء الدين المسيحي الاولى وانه يمكن اتقاء التفرع والتنوع في المبادىء والمذاهب فظنه بعيد وتحقيقه امر مستحيل . فالتنوع والتفسير والتأويل حسبما يرى كل مفسر ومؤول بحسب رأيه وتربيته واخلاقه ومصالحه سنةٌ طبيعية ٠ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ٠وقد ضعف رجال الدين في هذا الزمن ضعفاً غير قليل وضعف مقاوموهم ايضاً لان مقاومة الضعيف لا تحسن بالاقوياء اللهم الاَّ في البلاد التي لهم فيها سلطة مرعية وكلمة نافذة . ويظهر من مقاومة تولستوي لهم تلك المقاومة انهم في روسيا كذلك . ولكن كم في الدنيا من اناس اعمالهم واقوالهم وآثارهم اجدر بالمقاومة والنبذ من اعمال رجال الدين واقوالهم لانها اي تلك الاعمال والاقوال تكون اضرّ في الامة واشد اذية في بعض الاحيان

مسائل ورسائل

فلسفة نيتش

لقد اطلعتُ على ما جاء في فلسفة نيتش في الجزء الاول من السنة السابعة لمجلتكم ووددت لو انكم تلخصون كل اقوال نيتش (دون حذف شيء منها) وتعلقوا عليها حواشي اعتراضاتكم وافكاركم . وان لا تحذفوا المبادىء الكثيرة التي لا ترون لها موضعاً في الشرق ولا يمكن العمل بها) بل تتحفوا قرائكم بها كلها. لان (قصيدة نسج بردها الله لا انسان وحطمت مبادىء البشر وكل معروف ومألوف لديهم تحطيماً دوت له الدنيا) كما فاتتم الجديرة بان لا يُحذف

منها حرف واحد وتأكدوا بان كثيرين من مشتركيكم يرغبون ذلك مثلي

الدكتور

الخرطوم ٢٨ دسمبر نقولا معلوف

الاسبتالية الملكية

﴿ الجامعة ﴾ نعم اعلنا في الجزء السابق اننا نحذف من فلسفة نيتشه كل ما لانرى نشره ضروريًا . ولكننا قصدنا اننا نحذف منها كل ما هو بحث ديني محض لاننا ابعد الناس عن البحث الديني الذي لا فائدة منه . واما المواضيع المتصلة بالمباحث الاجتماعية والفلسفية فاننا نبقيها كما هي . ونشكر لحضرة الدكتور الفاضل ملاحظته

المهاجرة الى اميركا

طلبًا للعلم

نرجوك وانا احد قراء مجلتك ان تسهب القول في رحلتك الامريكانية وان تضمنها بالمناسبات فوائد علمية شأنك فيما تكتب — وان تشرح لنا نظام التعليم هناك الابتدائي والعالي ولاسيما التعليم الزراعي ومدته ومقدار ما يتكلفه المتعلم هناك في السنة اذا عاش مقتصدًا — كما نرجوك ان تجيب على سؤالين بمكان من الاهمية عند كثيرين ممن أعلم (وكثير من اعلم)

(١) عندنا رجل شهير يريد ارسال ولده الصغير الى امريكا ليتربى هناك التربية الابتدائية والعالية في مدارس الزراعة وهو لم يحسن بعد لغة البلاد التي هو فيها الآن كتابة وقراءة فهل تستحسن ذلك واذا استحسنت فما مقدار ما ينفقه مثل هذا الغلام في العام اذا اراد رجل متوسط الحال ان يبعث بولده وهو في مثل حالة الغلام الاول . وهل هناك عائلات تقبل التلاميذ فيها او في المدارس مدارس داخلية

(٢) لو ان رجلًا كان في الازهر قبل ولا يحسن من الانكليزية ولا ما يشتري به قوتًا ولا من العلوم العصرية الّا القليل مما يعرفه قراء الجرائد والمجلات واراد السفر الى امريكا ليدرس هناك علوم الاجتماع والفلسفة . فهل بما عرفت من حالة البلاد تقدر لمثل هذا نجاحًا وان كان فما مقدار ما يكفيه من الزمن لدرس اللغة واعداد نفسه لدخول الجامعات وما مقدار الزمن الذي يمضيه في درس العلوم المذكورة

نرجوك ان تجيب على هذين السؤالين ولو في عرض الكلام عن الرحلة كما نكرر الرجاء لك في الاسهاب في شرح حالة البلاد العلمية على الخصوص ولك الشكر الخالص من

احد القراء

﴿الجامعة﴾ نشكر حضرة المراسل لحسن ظنه بالجامعة ولكننا استغربنا ان يكتم حضرته اسمه حتى عن ادارتها · ومع ذلك فنجيبه عن سؤاليه وان خالفنا عادة الجامعة وهي اهمال كل ما يرد عليها وليس عليه توقيع كاتبه

﴿جواب السؤال الاول﴾ اننا نستحسن ارسال طالب علم الزراعة الى اميركا لان مدارسها الزراعية من افضل مدارس الدنيا وبساتينها الاختبارية الزراعية لا مثيل لها . ولكننا نفضل ان ينشأ الفتى في بلاده ويدرس فيها الدروس الابتدائية واللغة الانكليزية الى ان تشتد الواحه ويجاوز سن الصبي حتى اذا أُرسل الى اميركا قدر على تدبير شؤونه بنفسه ولم تضره حريته وارتفاع مراقبة اهله عنه . فان كثيرين من الطلبة البعيدين عن اهلهم يضرهم ارتفاع مراقبتهم عنهم فيسيئون بدل ان يحسنوا · وفي اميركا واوروبا كثير من الفخاخ والحبائل التي يقع فيها الفتيان الشرقيون الذين لا يحسنون تدبير انفسهم لحداثة عهدهم في الدنيا وقلة خبرتهم فيشتغلون عن دروسهم بشواغل اخرى. فالافضل ان يبقى الطالب في بلده تحت رقابة اهله حتى يقوى و يأمنوا عليه فيرسلوه الى الخارج · وفي اوروبا واميركا عائلات تقبل الطلبة باجرة قدرها بين ٨ و١٠ ريالات اميركية في الاسبوع غير النفقات الجزئية الاخرى. واما المدارس الداخلية فاجورها لا تطاق . فرب مدرسة يدفع فيها الطالب الف ريال في السنة (مائتي جنيه) ولذلك فالافضل ان يكون الطالب (خارجياً)

﴿جواب السؤال الثانى﴾ لا نستحسن هجرة الطالب الازهري الى اميركا طلباً (للعلوم العصرية) اولاً لانه لا يحسن الانكليزية وثانياً لانه لا يملك مالاً يتعلم به وثالثاً لان طلب العلوم العصرية في مدارس المانيا وفرنسا وانكلترا افضل من طلبها في المدارس الاميركية ورابعاً لان طلب (العلوم العصرية) لا يفيده بعد خروجه من المدرسة الفائدة التي يقصدها · وخير له ان يطلب (العلم العملي)كدرس احد فروع الصناعة او الهندسة او الزراعة في مدارس اميركا الصناعية او الهندسية او الزراعية . واننا نُصرح بكل حرية ان تهافت ابناء الشرق على العلوم النظرية وحدها تهافت مضر واننا في هذا الطور من حياتنا احوج الى العلوم العملية . ولو اخذ حضرة الازهري جميع علوم اميركا وعاد بها الى مصر والشرق كله فلا يجد فيها عملاً يرضيه ولكنه لو درس الزراعة مثلاً او هندسة البناء لاشتغل بصناعته في اي بلد

الأخبار العلمية

المركبات الطيارة

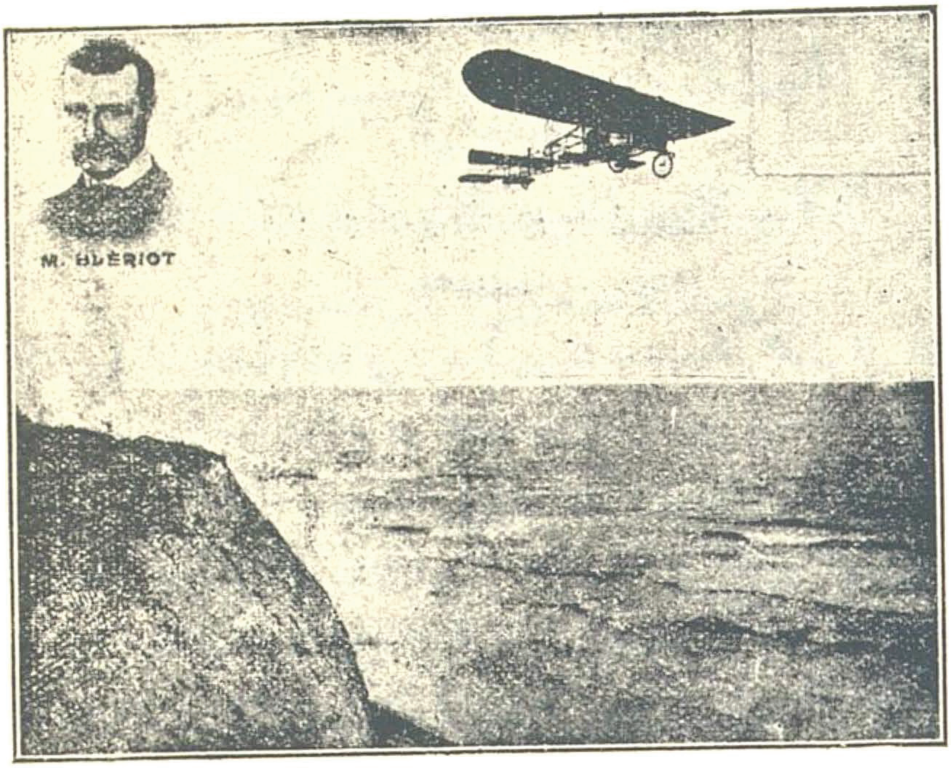
سيتسابق اصحاب المركبات الطيارة في عين شمس قرب القاهرة في اوائل فبراير . وليس فيهم الا رجل مشهور وهو لاتام واما سائر المشاهير فابوا الاشتراك في هذا السباق

﴿ البيبلان والمونو بلان ﴾ والمركبات الطيارة اصبحت الآن نوعين وكانت من قبل عدة انواع فاختصرها الانتخاب الطبيعي و بقي منها الافضل . والنوع الاول (البيبلان) اي المركبة المزدوجة لان سطحها مزدوج فهي كالقفص كما ترى في (الرسم الثاني) والنوع الثاني (المونو بلان) اي المركبة ذات السطح المفرد كما (نرى في الرسم الاول) وكلا النوعين يدعي (آيرو بلان)

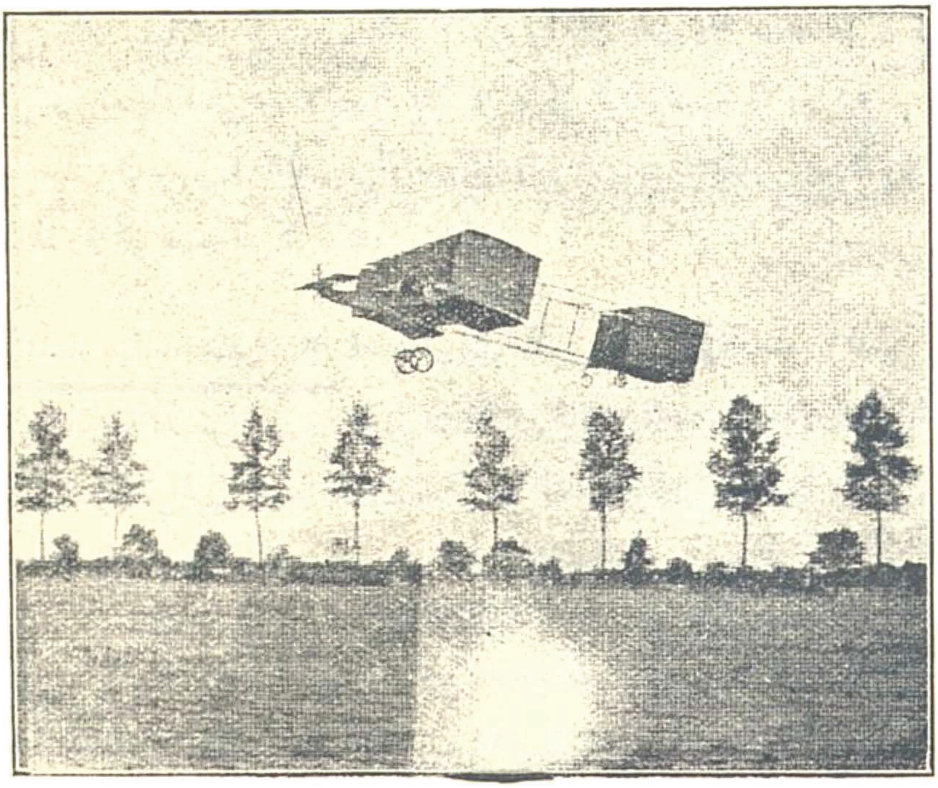
﴿ الاخف من الهواء والاثقل من الهواء ﴾ ويدعون هذا النوع من المركبات لطيارة (الاثقل من الهواء) لان المركبة الطيارة ترتفع في الحقيقة لا بكون جرمها اخف من جرم الهواء الذي تشغله كالمناطيد (البالون) بل بسرعة المحرك (الموتور) الذي يديرها فتحملها الريح الشديدة المتولدة من سرعتها وترتفع بها وكلما ازدادت هذه السرعة زاد ارتفاعها وكلما نقصت قل ارتفاعها وتستمر المركبة طائرة ما دام المحرك (الموتور) يدير آلتها التي تدفع بها الهواء الى وراء . وراكبها يوجهها بسكانها (دفتها) الى حيث يشاء . ومتى اراد النزول بها الى الارض اوقف حركة المحرك تدريجاً فتهبط المركبة تدريجاً . فهي كالعصفور يطير بسرعته في الهواء مع كونه اثقل منه . والامر الصعب في بنائها طريقة موازنتها واستوائها في الجو وهذا ما كان يحار فيه الهوائيون من قبل حتى اكتشفوه اليوم

﴿ حادثة تاريخية ﴾ وفي الرسم الاول رسم المهندس الهوائي بلريو المشهور حين طار بمركبته (مونو بلان) من مدينة كاله في فرنسا في ٢٥ يوليو الماضي وعبر عليها بحر المانش الى دوفر في انكلترا في ٣١ دقيقة . ومكان بلريو من مركبته ظاهر في رسم المركبة . وقد ابتعنا هذا الرسم من باريز حين مرورنا بها وكان يباع امام المكان الذي عرضت فيه هذه المركبة في جريدة الماتن وقد شاهدناها مع جمهور المشاهدين وفحصناها ملياً

﴿ اول سفر للبيبلان ﴾ والرسم الثاني رسم المهندس الهوائي فرمن وهو طائر بمركبته التي من نوع (بيبلان) بين معسكر شالون ومدينة ريمس . وكان هذا اول سفر طويل للبيبلان



(الرسم الاول) (مونوبولان) — المسيو بلاريو في مركبته الطيأرة يعبر بحر المانش



(الرسم الثاني)(بيبلان) —المسيو فرمن طائر بين معسكر شالون ومدينة ريمس

من النائب العمومي في نيويورك

الى الجامعة

الجنسية الاميركية والغرباء في اميركا

لايزال يرد باسم مجلة الجامعة على بريد نيويورك عدة رسائل فتحول الى الادارة في القاهرة . وآخر ماوردنا منها رسالتان من سمسار بن يبيعان مزارع ورسالة من محل في شيكاغو يبيع آلات للكتابة (تيب ريتر) باثمان معتدلة ورسالة من شركة لمبيع الاراضي نوجرزي . ولكن اهمها كلها رسالة وردتنا معها من جناب النائب العمومي في نيويورك يطلب فيها صاحب مجلة الجامعة ان يحضر في الاجل المضروب لانتخاب المحلفين (الجوري محكمة الجنايات) وان لم يحضر في الاجل المضروب يُغرم بدفع ٥٠ ريالاً اميركياً (عشرة جنيهات) فكتبنا الى النائب العمومي نعتذر الى حضرته عن ابطائنا في الرد على رسالته لاننا برحنا اميركا منذ اشهر وهو سبب كاف في ان يحرمنا من شرف الجلوس في مجلس لجوري في محاكم الولايات المتحدة العظمى

ولكن هناك سبباً آخر لم نذكره لحضرته لان ما فات فات ولا حاجة الى ذكره . وهو انه لايكون من اعضاء الجوري الاميركي الا كل داخل في الجنسية الاميركية . وصاحب الجامعة لم يطلب الدخول في الجنسية الاميركية وان كان من المعجبين باميركا والاميركيين وقد حفظ لها ولهم في نفسه تذكاراً جميلاً لايمحى

المستر هوارد كولد قدم الى مصر المستر هورد كولد احد اصحاب الملايين الاميركان على يخته الخاص ليصرف فصل الشتاء فيها وقبل قدومه بعث فاستأجر كل القسم الخاص بالملوك والامراء في فندق الكونتيننتال في القاهرة وحضرته شقيق السيدة الفاضلة مس هلن كولد التي ترى مقالة عنها في هذا الجزء بقلم مدام روزا حداد

تنبيه — شرعنا في بدء السنة الجديدة في انهاء الحسابات الماضية . فكل وكيل حصل بدلات اشتراك الجامعة ولم يرسلها اليها وكل مشترك لايتذكر بدل الاشتراك عن السنوات الماضية التي تناول فيها الجامعة ولا يريد دفع بدلها سيكون بينه وبين الادارة حساب طويل . ونؤمل ان لايقع بيننا و بين احد ما يسوء

احدى روايات مكسيم غوركي

الكاتب الروسي المشهور الذي يعد من زعماء الثورة الروسية الاخيرة ومن اكبر كتاب روسيا

ملفا

﴿ ملفا ﴾ (قلنا في الجزء السابق ان رواية ملفا التي وضعها الكاتب الروسي المشهور مكسيم غوركي هي كسائر رواياته التي تُرجمت الى جميع لغات العالم قاصرة على الطبقات الدنيا من البشر كاللصوص والمتشردين ومهربي البضائع والمتسولين والنساء الساقطات الخ. لان المؤلف عاشرهم جميعاً وعاش عيشتهم فهو يصور أخلاقهم وعاداتهم وحياتهم تصويراً طبيعياً ثم ينسب اليهم اعمالا جميلة بعضها عظيم لا يصدر الا عن عظام البشر · ويقصد بذلك تحبيبهم الى الناس والدلالة على قابليتهم للاصلاح وحث الحكومات والطبقات العليا على الالتفات اليهم والعناية باصلاح شؤونهم — وأبطال رواية (ملفا) التي شرعنا في تعريبها صيادون ومتشردون وفيهم امرأة ساقطة هي أهم شخص في الرواية · وقد نشرنا في الجزء السابق شيئاً منها واليك التتمة . وتنتهي هذه الرواية في الجزء الخامس على الكثير)

٢

فسأله فاسيلي ما فعلتم بالمال الذي بعثت به اليكم في السنوات الخمس المنصرمة

فأجابه ابنه انهم انفقوه في تزويج أخته مريم وترميم القربة وابتياع محراث . فقال فاسيلي فلماذا لم يكفكم .

وهنا فاضت قدر السمك التي كانت على النار فاسرع اليها فاسيلي وأخذ يحركها وهو يفكر بكلام ابنه وفي نفسه انقباض وكآبة . وكان يتساءل حيناً بعد آخر ماذا يقول ابنه عن سبب وجود ملفا هناك وكان هذا السؤال يزيد كآبته واضطرابه · اما ملفا فكانت لا تزال تلقي الى ياكو نظرات توقع الاضطراب في نفسه · فلما نهض فاسيلي قالت لياكو — لابدّ انك تركت في قريتك خطيبة لك

فقال ياكو · ذلك ممكن

فقالت وهل هي جميلة · وهل تراها اجمل مني

فلم يجب ياكو · فصاحت به مالك لاتجيب

فرفع ياكو نظره اليها وعرته هزّة لمنظر ذلك الوجه الاسمر الصبوح والعينين البراقتين والابتسامة الدالة على الخبث · فاراد اجابتها بنزق وشراسة ولكنه رأى ان في نفسهِ شيئاً يمنعهُ من ذلك · فتأوهً وقال بلهجة الرجاء

— لماذا تخاطبينني هكذا

فقالت وكيف تريد ان اخاطبك

فقال ولماذا تضحكين

قالت لانني اهزأُ بك

ولما قالت هذا الكلام وجهت برق عينيها نحوه فغض من طرفه بضعف وقال — ماذا فعلت لك

فسكتت حينئذٍ ملفا ولم تجب

وكان ياكو متحققاً ان ملفا هي عشيقة ابيه ولذلك ما كان يجترئ على مجاوبتها كما كان يريد

ثم عاد فاسيلي ونادى ملفا ان تأتيه بالملاعق فاجابت انه يجب غسلها بالماء ولذلك اتجهت نحو الشاطئ لتغسلها وتجلب زجاجة في الزورق تحوي شراباً مسكراً

فبعد خروجها من الكوخ لبث فاسيلي وابنه مطرقين . وبعد هنيهة قال فاسيلي يخاطب ابنه : اين لقيتها

فقال ياكو لقيتها امام المكتب حيث كنت اسأل عنك فاخبرتني انها آتية اليك في زورق ودعتني الى ان ارافقها ولا اقطع المسافة مشياً على قدميَّ في الرمال فرافقتها

فسكت فاسيلي ثم قال · وما الحيلة يابني · فانني كثيرا ما غالبت نفسي فغلبتني . واذا كان من السهل الفرار من الموت فمن السهل الفرار من المرأة

فسكت ياكو ولكنهُ قال في نفسهِ ان اباهُ مازال كهلاً . وان جميع الذين يفارقون قراهم ويذهبون بعيداً لكسب المال يقعون في الفساد

وهنا عادت ملفا وفي يدها زجاجة الشراب والملاعق بعد ان غسلتها . فجلس الثلاثة الى المائدة · وكانت ملفا ترى اكباب ياكو على الطعام وشدة قابليته فيعجبها منهُ هذا

الاندفاع والشباب • ولذلك كانت تنظر اليهِ وتبتسم • اما فاسيلي فكان ياكل وهو عديم القابلية ونظره يتردد بين ياكو وملفا لمراقبتهما

وبعد حين شرب ياكو شيئًا من الشراب وفرغ من الطعام واخذ يتثاءب • فنهض ابوه وقال لهُ نم واسترح بعد الطعام • فاستلقى ياكو على اكياس في الكوخ وهو يضحك وقال : لقد اصبت ولكن الى اين انتما ذاهبان

فلم يجب فاسيلي واسرع الى الخروج لان ضحك ابنه كان يزعجه • فاجابته ملفا وهي تضحك — هذا لا يعنيك • وخرجا

فقال ياكو وهو يكاد يعربد • هذا لا يعنيني • ها • ها • سأريك ايتها الاوينسة الجميلة

ثم ابتسم ابتسامة السكارى ونام

اما فاسيلي فانه اخذ ثلاث قوائم من خشب فغرسها في الرمل على الشاطئ بشكل مثلث والقى فوقها بساطًا واستلقى هو وملفا في ظل البساط

وكانت ملفا ترى الغضب في وجهه فقالت له • ما بك ايها الشيخ • اساءك ان ترى ابنك فاجابها غاضبًا . انه الآن يهزأ بي وانت كنت السبب في ذلك

فاظهرت الدهشة وقالت : انا كنتُ السبب • ماذا تقول

فقال نعم انت كنت السبب فانك لولم ••• فقطعت كلامه وقالت حقًا انك جدير بالشفقة • أصحيح ما تقول . فما كان يجب عليَّ ان افعله اذًا . اذا كنتَ تحب ان لا اعود الى هنا فانني لا اعود . اهذا ما تريد

فصاح فاسيلي . اسمعوا كلام الساحرة • انظروا هذه المرأة • انكما كليكما تضحكان مني . وانت مع ذلك اقرب اليَّ منه • ما يجعلك تضحكين هكذا ايها الشيطان

ثم ولى وجهه عنها بغضب وسكت

اما ملفا فاستمرت تضحك وهي واثقة من قوتها ككل امرأة جميلة اعتادت الاعتماد على جمالها

وكانت حينئذٍ جالسة ويداها تطوفان ركبتها وجسمها يتمايل بارتخاء وعيناها شاخصتان نحو البحر الساطع تحت اشعة الشمس كأنَّ فيه نارًا موقدة

فالتفت اليها فاسيلي اذ رآها سكتت وصاح مالك لا تجاوبين

فقالت ملفا — انني احلم

فقال وبمَ تحلمين

فرفعت حاجبيها وقالت : بلا شيء

ثم سكتت هنيهة وبعدها قالت : ألا ترى ان لابنك رونق الشباب وقوته

فلدغت الغيرة قلب فاسيلي فاستوى جالساً وصاح — وماذا يهمك هذا

فقالت يهمني بعض الشيء

فرفع فاسيلي رأسه اليها بغضب وهو يحرق الارم وقال : انتبهي · واياك ان تحرجيني فتخرجيني عن الصواب

ثم قال انني رجل هادىء · ولم افهم مرادك بعد ولكني اذا فهمته فاحذري

فلم تلتفت ملفا نحوه بل اجابته وهي تنظر في جهة البحر بلا مبالاة — لا تهدد يا فاسيا

فقال لا تمزحي فلا اهدد . فقالت انك لا تخيفني . فقال وقد اشتدّ غضبه · انني اقطع جسمك ضرباً مبرحاً اذا كان في نفسك امر سيء

على ان ملفا لم تغضب لغضب فاسيلي وتهديده بل استمرت ساكنة رزينة ولكنها اجابته بهدوء : هل تظنني زوجتك

وقبل ان يجيبها على سؤالها هذا اردفت كلامها بقولها — انني اعلم انكِ كنت تضربها لا لذنب سوى الرغبة في ضربها · فاسمع الآن . لا تظن انك تقدر على ان تفعل بي ما كنت تفعله بها . فانا حرة مطلقة كالهواء لا يملكني احد ولا اخاف احداً · واذا كنت ترغب في اظهار شجاعتك وقوتك فقد كان عليك ان تظهرهما امام ابنك الذي كنت تضطرب لديه وتخاف . فلا تهدد امرأة . هذا عيب

ثم سكتت وعلى وجهها لوائح الاحتقار · فزال غضب فاسيلي عند رؤيته اياها في هذه الهيئة وسماعه هذا الكلام . وكان الغضب قد كساها جمالاً ورواء لم يرهما لها من قبل . فعرته الدهشة وقال بشيء من الاعتدال والاضطراب

— اراك تتفلسفين

فقالت : اسمع ايضاً . يظهر انك فاخرت على مسمع من سريجك بانني استغني عن الخبز ولا استغني عنك . وقد وهمتَ . أتظنني احبك ؟ كلا وانما احب هذا المكان الذي نقيم فيه — واشارت بيدها اشارة مستديرة شملت البر والبحر — وربما كنت احب هذا المكان لانه مقفر وايضاً لان البشر الادنياء لا يقيمون فيه . والذي احبه هنا السماء والبحر . وانت تقيم هنا فلا بأس فانني اقيم معك فكأنني اعطيك أجرة اقامتي فيه . ولكن لو كان

ابنك مكانك او سريحك لأقمت مع هذا او ذاك كما اقيم معك . افهمتَ الآن ؟ وربما كنتُ في هذا المكان أصفى عيشاً لو لم تكن انت فيه ولم يكن فيه احد غيرك . ذلك لانني اجد الضجر والملالة معكم جميعاً . ولو اردت لوجدتُ من هو افضل منك . افهمت ؟

فوثب حينئذ فاسيلي على ملفا واخذ بخناقها والغضب مستحوذ على نفسه وصاح — فاذًا هذا هو فكرك . ثم القاها الى الارض بيده القوية واخذ يوسعها ضرباً على عنقها ورأسها وهو يصيح : ساريك ايتها الشقية . واستمر يضربها على وجهها وعينيها ورأسها

وكانت ملفا قد سقطت على ظهرها تحت ضرباته وقد انتشر شعرها وزاد جمالها ورواؤها . وكان فاسيلي مشتغلا بضربها فلم يرَ ما كان في عينيها حين استقبالها ضرباته من البغض والكراهة والاحتقار . ولكنه لما سكن بعض الشيء ووقعت عينه على عينها وجدها تبتسم . ثم ان ابتسامها تحول قهقهة غريبة .

فصاح فاسيلي مستغرباً — مالك ايها الشيطان

فنظرت اليه ملفا بسكينة وقالت — فسكا . أأنت ضربتني .

فلم يفهم فاسيلي مرادها واحتار في ما يجيبها ثم قال — فمن اذًا . واراد ان يستأنف ضربها ولكن يده لم تطاوعه لان غضبه كان قد زال فضلاً عن ان صوت ملفا اللطيف وهي مضروبة كان كأنه سهم اخترق فؤاده .

فقالت ملفا — فاذًا أنت تحبني ولذلك ضربتني .

فقال فاسيلي اسكتي ايها الشيطان . فقد كان عليَّ ان اضربك باشد مما ضربتك.

فقالت ملفا وهي تضحك ايضاً كنت اظن بعد مجيء ابنك انك سلوتني وستطردني

فقال يالك من حمقاء وهل لابني سيادة عليَّ . وما دخله في هذا . ثم رجع في كلامه فقال بل له دخل في ما فعلت . فانك اردت ايلامي بذكره في حديثك قبل ان غضبتُ . فلماذا تستثيرين غضبي .

فاستمرت ملفا تضحك ومالت نحو فاسيلي واستندت الى كتفه وقالت — أأغضبتك لاختبرك . فقد قلتُ ما قلتُ مخصوصاً .

فقال اردت اختباري ولكنك رأيت ما يجر اليه هذا الاختبار .

فاطبقت ملفا جفنيها بعض الاطباق وسكتت هنيهة ثم قالت — وما يهمني . لا شيء يوجب غضبي . انك تحبني وضربتني . فسأرد لك ضرباتك .

ثم فتحت عينيها وحدقت في عيني فاسيلي وقالت كأن في نفسها تذكار ملذة ومسرة.

نعم سأرد لك ضرباتك .

فعرت فاسيلي هزة الطرب لانه رأى في حركات ملفا وعدًا له لا وعيدًا فقال — قولي كيف ترديها لي .

فاجابت ملفا بسكينة ولكن شفتيها كانتا ترتجفان — سترى

فعانق فاسيلي ملفا حينئذ وقال = اتعلمين يا حبيبتي انك اصبحت الآن بعد ان ضربتك اعز لدي واحب اليّ منك قبله . ولا اعلم ما الذي استولى عليّ . . .

وكان البحر يتنفس ويضحك بصوت رفيع وامواجه تكاد تبلغ اقدامهما . وكان النسيم يهبُّ عليلاً فيداعب شعورها . والطيور البحرية تحوم حولهما وهي تتداعب وتتناجى .

فمال فاسيلي نحو ملفا بعد ان فكر مليًا وقال

— ما اعجب هذا الكون واغرب ما فيه . كل ما فيه من ذنوب وخطيئة شيء محبوب . انت لا تدركين هذا ولكني كلما فكرت في شؤون الحياة عرتني الرهبة والخوف . نعم انها تخيفني وخاصة في الليل حين يهجر الكرى جفني . فانني أرى البحر والسماء تحيط بهما الظلمات وانا وحيد فريد . اتصوَّر الارض جرمًا هائلاً يدور في الفضاء وانا جالس عليها وحيدًا فريدًا فتضيق نفسي . ليتك تكونين بجانبي في الوقت الذي اشعر فيه هذا الشعور فنكون اثنين على الاقل

وكانت ملفا صامتة وعيناها مغمضتان . وكانت ممددة على الرمل ورأسها مسند الى ركبة فاسيلي . وكان فاسيلي ينحني نحوها حينًا بعد حين و ينظر اليها بحنو وعطف و يقبلها

فاقاما على الرمل نحو ثلاث ساعات حتى مالت الشمس نحو المغرب فنهض فاسيلي وقال ان ضيفي يكاد ينتبه من رقاده فعليّ ان اصنع له الشاي

فسار فاسيلي نحو الكوخ وبقيت ملفا على الرمل وقد تنهدت بعد ذهابه تنهد الارتياح الى البعد عن رجل ملت صحبته

و بعد ساعة كان الثلاثة في الكوخ يتناولون الشاي . وكان الظلام آخذًا في الهبوط والامواج تتخذلونه شيئًا فشيئًا . وكان فاسيلي يحادث ابنه وهو يحسو كأس الشاي وملفا صامتة لا تتكلم

فقال فاسيلي . ان فلاحينا يعيشون في مزارعهم فكيف لم تستطع انت المعيشة في المزرعة فقال يا كوانهم يعيشون في حالة سيئة . فقال فاسيلي قد كان يكفينا نحن شيء من الخبز ومزرعة تكون ملكًا لنا . فقد كنا نعيش فيها كما يعيش السيد في قصره . على اننا لسنا هنا الاَّ خدمة

فقال ياكو وليكن العمل هنا اخف واقل من العمل في المزرعة والغذاء اوفر واكفى

فقال فاسيلي لا تصدق ذلك . فضلاً عن كوننا نعمل لغيرنا لا لنا

فقال ياكو ولكن الكسب وافرٌ هنا

وكان فاسيلي يعلم ان الحق في جانب ابنه ولكنه كان يروم تغيير رأْيه وصرفه عن الاقامة معه ليخلو له الجو بملفا فقال — وكم تحسب انه يمكن الربح هنا . ان العمل شاق وقليل الربح في كل مكان

فالتفت فاسيلي نحو البحر وقال ما اوسع هذا البحر . انني اتمنى لو يكون لي وهو ارض لكنت احرثها وازرعها

فسرَّ فاسيلي بذكر ابنه الارض وتحسره عليها فاراد زيادة ميله اليها . فقال — انك لصادق في تحسرك على الارض يا بني . فان الارض قوة لمن يلصق بها وبعمل فيها . وهي بمنزلة ام حنون تغذيه اذا عني بها واذا هجرها ضاع واصبح كالشجرة التي لا جذور لها

وكانت الشمس قد اخذت تتوارى وراء البحر لتذهب وتنبه الاراضي الراقدة بنور فجرها الساطع . وكانها كانت تنحدر في مياه البحر والبحر يستقبلها باصوات امواجه العازفة التي تلونت بلونها كانها في الحقيقة قد امتزجت بها

و بعد حين قالت ملفا . ماذا افعل هنا فقد هبط الظلام وعليَّ ان انصرف

فاضطرب فاسيلي وقال بصوت ضعيف وهو ينظر الى ابنه — لماذا تعجلين انتظري طلوع القمر على الاقل

فقالت ملفا وهي تضحك في سرها ولماذا انتظر القمر . اتظنني اخشى السير في الليل . ام هذه هي اول مرة خرجتُ فيها سارية . فضحِك ياكو في سره وظهر ضحكه في عينيه فاغمضهما ليخفي تهكمه

واحس فاسيلي بحرج موقفه فقال بشيء من النزق . اذًا فاذهبي .

فنهضت ملفا وودعت الابن والأب ثم سارت على موازاة الشاطي . وكانت الامواج تتصادم تحت قدميها كانها تتطاول نحوها لمداعبتها

وكانت النجوم قد بدت تسطع في السماء كأَنها ازهار من ذهب . واخذت الوان ملابس ملفا تغيب عن بصر فاسيلي وابنه كلما ازدادت بعدًا عنهما . وكانت ملفا تنشد في مسيرها نشيدًا هذا مطلعه

« تعالَ تعالَ يا حبيبي

« تعالَ لأضمك الى صدري

ثم وقفت لأمر في الطريق · فبصق فاسيلي من الغضب وقال · يا لها من شقية · فانها ما وقفت الا لاغاظتي

ثم كظم غيظه وابتسم قائلا — ها قد عادت الى الغناء ·

وكانت ملفا تغني وهي كأنها في الافق بقعة سمراء لبعدها :

« صدري من عاج فيه اوزتان

« وهما لك ·

فبصق فاسيلي ثانية وقال مزمجرًا يا لها من شقية

اما ياكوف فانه كان شاخصاً نحو الجهة التي كان يرد منها ذلك الغناء « المملوء بالتجربة» وكان كله آذاناً تسمع · ثم ترجم عما كان يجول في نفسه بتنهد خرج من صدره · وكان ابوه يخاطبه في هـذا الحين فالتفت اليه · فقال الأب — يظهر انك لم تحسن تدبير الارض ·

واستمرّ صوت ملفا يدوي في الفضاء بتتمة الغناء :

« وحدي في هذا الليل

« كيف استطيع ان انام

الفصل الثاني

وفي يوم الأحد التالي انتظر فاسيلي مقدم ملفا حسب عادتها في يوم الاحد · وكان مسروراً بان ابنه لا يكدر صفوه في ذلك اليوم · ذلك لان ياكو قال له في المساء انه سيأخذ شبكة ويذهب مع بعض رفاقه للصيد · وكان ياكو قد شرع في العمل في المصائد وأخذ يكسب ١٥ روبلاً في الشهر · وكان رفاقه يعجبون ببشاشته وجرأته في الاعمال

وبقي فاسيلي منتظرًا ملفا طول النهار وهو يبرق ويرعد ويقوم ويقعد ولا يرى في البحر شبح زورقها · فاخذ يقول في نفسه انها غضبت لانه ضربها · ولما انتصف النهار ولم تأت بصق من غضبه في الجهة التي اعتادت المجيء منها وقال ابقي يا شيطانة حيث انت

ولكن كانت تخطر في باله أفكار تؤلمه من جهة ياكو فيحاول طردها · فيصرف فكره الى امر آخر ولكن فكره كان يعود على الدوام الى ملفا وياكو وتعود تلك الافكار · وكان يتألم لان عمله في حراسة ذلك المكان يوجب عليه البقاء فيه فلا يستطيع الذهاب للتفتيش عن ملفا



صورة البطاقات (كارت) التي
صوّرت في الاستانة بعد اعلان الدستور
ترمز الى الحوادث السياسية . وفي
وسطها رسم عزت (باشا) العابد (راجع
تفسير رسوم البطاقات في الصفحة ٧٨)